بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد ٦٠

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

صفر ١٤٣٦هـ — ديسمبر ٢٠١٤م

العدد السادس - المجلد الستون — December 2014

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد ابوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

محتويات العدد

العدد السادس- المجلد الستون – صفر ١٤٣٦هـ- ديسمبر ٢٠١٤م

الافتتاحية :

الدعوة الإبراهيمية: الإمامة،ورفع قواعد البيت وتطهيره — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

الأسلوب القصصي في القرآن — سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٨

شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية — الدكتور غريب جمعة — ١٥

الدعوة الإسلامية :

فكرة الصحوة الإسلامية في كتابات

العلامة الشيخ أبي الحسن الحسني الندوي — الأستاذ غياث الإسلام الصديقي الندوي — ٢١

المديح النبوي والقصيدة العنبرية للسيد صديق حسن خان — الدكتور عبيد الرحمن طيب — ٣٢

المفاهيم القرآنية في قصائد المعلم عبد الحميد الفراهي — الدكتور محمود حافظ عبد الرب مرزا — ٤٢

الفقه الإسلامي :

النهي عن الاكتناز والشح والإسراف والأمر بالحجر — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٥٠

ملاحظات على كتاب " المقدمة في فقه العصر " — فضيلة الشيخ الدكتور بدر الحسن القاسمي — ٦٠

دراسات و أبحاث :

حركة التأليف والترجمة في اللغة العربية في الأندلس الإسلامية — الدكتورة زرنغار – مكتبة رضا — ٧٢

صور وأوضاع :

مسئولية منظمة الأمم المتحدة لحل مشاكل الإنسانية — محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٧٩

من كنوز القرآن :

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٨٤

إصدارات حديثة :

الهداية القرآنية : سفينة نجاة للإنسانية — تعريف بقلم سعيد الأعظمي الندوي — ٨٨

محاضرات في فن التدريس — تعريف بقلم الأستاذ محمد أشرف علي الندوي — ٩١

أخبار اجتماعية وثقافية :

ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٣٥هـ — سعيد الأعظمي الندوي — ٩٥

إلى رحمة الله تعالى :

١. الأستاذ نياز أحمد الندوي في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٨

٢. الحاج جميل أحمد الصديقي إلى رحمة الله تعالى — . . . . — ٩٩

٣. البروفيسور عبد المعز في ذمة الله تعالى — ٩٩

٤. حرم الشيخ محمد عاشق إلهي البرني إلى رحمة الله تعالى — . . . . — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة الإبراهيمية
الإمامة ، ورفع قواعد البيت وتطهيره!

من عجيب حكمة الله تعالى في الإنسان أنه أكرمه بالعلم وأدواته لكي يتميز عن غيره من الخلق الذي سخره لخدمته وتوثيق صلته بالخلاق العظيم ، وربط مصيره بمنهج الحياة الذي أنزله خلال الرسالات السماوية التي تولت تربية العالم البشري عن طريق عباده المصطفين من الأنبياء والرسل من خلق آدم ونوح وإبراهيم إلى خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، لأنه كان بألح حاجة إلى تفهم معنى ذلك المنهج الذي يتناوله بالهداية إلى الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين باتباعه وبالسير على درب الإيمان واليقين وبالتالي بالتفقه في الدين . حتى يتسنى له الاتصال بالرب تبارك وتعالى وإدراك دلالاته في حياة تلك الطائفة التي نفرت في سبيل العلم والفقه والبصيرة وتبوأت منصب الإنذار ثم الدلالة على معاني العبودية الكاملة الخالصة لله تعالى، ودعوة الناس إلى اتخاذ هذه المعاني التي تشرح غاية خلق الإنسان في أحسن تقويم والقيام به نحو تحقيق ذلك بالعمل الصالح ، وأداء ضريبة الفقه الذي يتفرد به بين جميع المخلوقات ، ولذلك فإن القرآن الكريم يوضح نهج المؤمنين من عباده للتدبر في آياته والتفقه في الدين ، (وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة/١٢٢) .

ونظراً إلى أفضلية خلق الإنسان وأهميته في بناء التركيبة الحضارية الإيمانية الشاملة الكاملة ، وجّه الله تعالى إلى هذا الإنسان مسئولية البحث عن دعائم أربع ، يقوم عليها بناء العقيدة والإيمان ، ويرتفع عليها صرح التفقه في الدين شامخاً رفيعاً متيناً ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان " (رواه البخاري)

ذلك هو في الواقع أساس الدعوة الإبراهيمية التي شملت الحياة والكون والإنسان من جميع النواحي ، وقد ابتلى الله تعالى أبا الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام بكلمات من الأوامر والنواهي وإقامة عقيدة التوحيد ومحاربة الشرك ، ومقاطعة المشركين والمشتغلين بصناعة الأصنام ونحت الأوثان من الحجارة والأخشاب ، وقيل : ابتلاه بالطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والإفاضة ، قاله ابن عباس رضي الله عنه ، فلما نجح في رفع راية التوحيد الخالص بين أوساط الشرك والوثنية ، جعله الله تعالى إماماً جزاءً على ما فعل ، يقول الله تعالى في سورة البقرة : (وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ) وكان من الطبيعي أن يمتد منصب الإمامة إلى ذريته فأبدى رغبته في ذلك ، ولكن الله تعالى أبى أن يكرم الظالمين بعهده إذا كانوا قد انحرف بهم الطريق عن عقيدة التوحيد الخالص ، بوضع طاقاتهم في غير محلها وبالفسوق والعصيان لأوامر الله ، وهم اليهود الظالمون ممن كانوا ينتمون إلى جدهم إبراهيم نسباً ولكنهم كانوا منحرفين عن طريقه وبعيدين عن جادة العدل ، في شأن التوحيد والإيمان واليقين وإن كانوا يدّعون بالإسلام كذباً وافتراءً ، لذلك فإن الله تعالى رفض بكل صراحة أن يكون للظالمين نصيب من الإمامة والقيادة .

إن تاريخ بيت الله وإحياء رسالته في مجال ترسيخ عقيدة التوحيد الخالص في النفوس والقضاء على الوثنيات المنتشرة يوم ذاك ، يبتدئ من جديد على يد سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي رفع راية التوحيد وقام بمحاربة الشرك واستئصال جذوره من الأعماق بإذن من الله تعالى . وقد تحدث الله سبحانه عن هذا الذي كان نتيجة لملة إبراهيم وسبباً لوجود الأمة المسلمة من ذريته ، وانتشارها في العالم البشري من خلال رسالة الإسلام ودعوته التي حملها خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، الذي بعثه الله تعالى بالدين الكامل ونعمة الإسلام الخالدة الباقية النامية إلى يوم الدين ، فكانت شريعة الإسلام منهجاً دائماً للحياة والإنسان في جميع أنحاء العالم تتفق طبيعته مع طبيعة البشر بوصف دائم عام ، رغم اختلاف المجتمعات البشرية وأحوالها وظروفها ، ولنقرأ الآن آيات تشير إلى تاريخ بناء البيت من جديد ، وتوجيه طلب إلى الله تعالى للبعثة المحمدية الدائمة الشاملة ، التي تعرف بملة إبراهيم : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ، رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ، إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ، وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ، وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَاهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى ٱلآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ) (البقرة/١٢٧- ١٣٠)

كل ذلك كان بقرار سماوي وتقدير إلهي ، لا لصالح الإنسان وسعادته وحده وإنما كان نظاماً محكماً دقيقاً لبقاء هذا الكون وما فيه من حياة وآيات ، فالبيت الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كان محوراً محكماً دقيقاً تدور حوله الكائنات كلها بصفة دائمة ، والطواف حول البيت يرمز إلى دوران الكون وكل ما فيه ، حول أوامر الله ونواهيه ، فكان مباركاً وهدى للعالمين ، وفيه

دلالات واضحة على أن حياة الإنسان لا يكتمل غناؤها إلا بوضع الجوارح والعواطف ، والجسم والروح ، والعقل والقلب ، كل ذلك في الخضوع أمام أوامر الله تعالى والطاعة الكاملة للشريعة التي أنزلها إليه عن طريق نبينا الذي ختم به الرسالة وجعله مثالاً أكمل من جميع النواحي للعالم البشري أجمع ، وكل ما فيه من شئون ونشاط وحياة وتحركات ، ومن حضارة واجتماع وأخلاق وسلوكيات تستوحي من حياة الرسول الأعظم الكريم صلى الله عليه وسلم الذي أثرى حضارة الإسلام الشاملة بتوجيهات سماوية في كل منحى من المناحي ، وذلك بتأثير الدعوة الإبراهيمية التي عمت المعمورة كلها وأقامت ميزان الحق والعدل وأزهقت أهل الباطل ممن كانوا مفترين بالزخارف والذخائر المادية ، معرضين عن تجارة رابحة دلّ عليها الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين (يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) (الصف/١٠- ١١) .

وتمت هذه الصفقة ليلة العقبة مع عبد الله بن رواحة الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم " اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً " و "اشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم " قال : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ ، قال : " الجنة " وهنالك أعلن ابن رواحة ومن معه " ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل " (نقلاً من ظلال القرآن لسيد قطب في تفسير سورة الصف)

ولا يخفى دور إبراهيم ودعوته والبيت الذي تولى رفعه هو وابنه العزيز إسماعيل (عليهما السلام) بأمر من ربهما ، وكذلك كل من

عظّم البيت ، ورفع شأنه وذلّل الصعوبات دون وصول الناس إليه ، والطواف حوله، وقد سجّل التاريخ بمداد من نور جميع تلك الوسائل والمجهودات والقبائل والحكومات والجماعات التي نال بيت الله في البلد الأمين تعظيمها وإلباسها كسوة العز والشرف باعتبارها البيت الوحيد في عالم الكون الذي أمر الله سبحانه ببنائه ورفع شأنه ودعوة الناس إلى حج البيت والطواف والسعي ، يقول الله تعالى : (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) (البقرة/١٥٨) . ونحن في العصر الراهن نشاهد تركيز المملكة العربية السعودية على تعظيم بيت الله وتسهيل حجه ، وتيسير الطرق والمواصلات من جميع أنحاء المعمورة للوصول إلى بلد الله الأمين وأداء هذا الركن العظيم بجميع شعائره وأداء مناسكه في المشاعر بتوفير التسهيلات وأسباب الراحة والطمأنينة حتى يتمكن الحجيج من التفرغ لأداء هذه العبادة الجليلة بغاية من الهدوء والأمن والسلام .

ثم الشكر العظيم لله تعالى ولخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود (حفظه الله تعالى) وجميع أركان الحكومة على ما قاموا به من توفير خدمات لحجاج بيت الله الحرام وزوار مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد بلغ عددهم اليوم أكثر من ثلاثة ملايين حاج جاؤوا من أرجاء العالم كلها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، وما تيسر ذلك لو لا عناية الله سبحانه بهذا الركن العظيم ، الذي تكتمل به الشخصية الإسلامية ويرتفع به صرح الإسلام عالياً ، وما ذلك إلا بتوفيق من الله سبحانه لعباده المؤمنين .

(ذٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ) (الحج/٣٢)

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٥/١٢/٢٢هـ / ٢٠١٤/١١/١٨م

الأسلوب القصصي في القرآن

بقلم: سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب: محمد فرمان الندوي

جمال الأسلوب القصصي ومعنويته :

لقد عم اتجاه تقديم النماذج الحية في أسلوب قصصي للأدب في هذا العصر ، ويعتبر هذا الجانب للأدب النثري جزءاً مهماً ومقبولاً ، إن أسلوب القرآن المعجز ليس كالكلام العادي للإنسان الذي يتمتع بحلاوته الأدبية فقط ، أو يختار أحواله المرتسمة على نفسه للتأثير ، إن أسلوب القرآن يحمل رونقا وبهاءا وتأثيراً غريباً من نوعه ، فهو يستوفي بتصحيح المسار الإنساني ويرشده إرشاداً تاماً ، وقد أودع فيه أن يتأثر به الإنسان تأثراً كثيراً ، فيوجد فيه الأسلوب المؤثر الذي يكون مفيداً لغرض الكلام بتنوع نواحيه وتعدد جهاته ، وكلما كان الموضوع قد اقتضى أسلوباً اختار له مثل ذلك. لكن الأسلوب القصصي والبياني للقرآن الكريم يحمل ميزة خاصة من بين الأصناف الأخرى ، وهو يؤثر في أحاسيس الإنسان تأثيراً فطرياً ، فيرسل الإنسان كلامه ويسمعه السامع بكل شوق ورغبة.

اقرؤا سورة العاديات على سبيل المثال :

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ۞ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً ۞ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً ۞ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ۞ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۞ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۞ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۞ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾.(سورة العاديات الآيات/١ — ١١)

إن الحرب والقتال كانا شغل العرب الشاغل ، وكانوا مولعين بهما ، وقد جاء في القرآن في أسلوب معجز في سورة العاديات ذكر الخيول السريعة الجري مثل البرق جرياً تثير أخفافها النار ، وتمتلئ أفواهها باللعاب، وهي تغير صباحاً على الأعداء ، وتثير النقع من أقدامها ، وتخوض في خضم الأعداء ، هذا مما يقضي منه العرب العجب ، لأنهم كانوا على شغف زائد

بالحرب ، ويملؤهم شوقاً ولهفة ، فيستمعون إلى الذي يخاطبهم، ثم يبتدئ أصل الموضوع ، ويبتدئ في ضوء نفسيته أن الله قد وفر لنفع الإنسان أسباباً ووسائل ، والإنسان كفور لربه ، وخبير بأحواله ، والواقع أنه يتشوق إلى نفعه وفائدته ، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۞ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ عامله الله بعلمه وقدرته ، هكذا ذكر أمام المخاطب كلمات حبيبة لربه ، وذلك بأسلوب جميل أسر قلبه ، ثم ذُكّر أن حياته ليست للمتعة المحضة ، بل هي تطبيق عملي للقيم الإنسانية العليا ، وليس هذا سمعة ورياءً ، بل يجزى جزاءه أو يعاقب حسب أعماله .

غاية الأسلوب البياني في القرآن:

إذا درسنا أسلوب القرآن هذا وجدنا له نماذج كثيرة تحمل طرازاً منوعا ، ويجعل هذا الجانب الأدبي في جهود الناس الأدبية ذريعةً لإيصال القصص المفترضة بأحسن أسلوب إلى القراء ، وتذكر فيه القصص بأسلوب يعكس جوانب الحياة المرهفة، لكن هذا الصنف من الكلام الإنساني يركز على تصوير قصص الحياة، أما ما قيل في القرآن الكريم في صورة هذا الصنف وما ذكر فهو هادف وبنّاء ، وتوجد فيه جوانب كثيرة ، منها أن سلاسل القصة ضمن بيانها تارة تكون متقطعة حسب ما يليق بالمقام ، لكن لا يخل هذا بالقصص ، ولا يشعر الدارس بفراغ في فهم هذه القصة ولا يرى نقصاً أو صعوبةً فيها ، ويكون مثل ما يتكلم رجلان شفوياً ، ويترك أحدهما السلاسل المتوسطة للكلام، فلا يحدث أي صعوبة في فهم مراد الرجل الآخر .

قصة سيدنا يوسف عليه السلام :

هكذا يوجد في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام أن الملك لما رأى الرؤيا وسأل تأويلها من ملئه فأبدوا عدم اطلاعهم على تعبير الرؤيا وأخبروا بسجين كان في السجن ، وكان اسمه يوسف ، وقد سأله أحد خدامه عن تأويل رؤياه فقال أحد وزرائه : يوسف هو الرجل الصديق الذي يمكن أن يسئل عنه تأويل هذا الرؤيا ، فقال : (أرسلون) ثم جاء مباشرة قول الله عز وجل ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾ بين هاتين الجملتين عدة محذوفات ،

ويمكن أن تتلخص في هذه العبارة أن الرجل المذكور لما قال لملأ الملك : إني سأخبركم بتأويل هذه الرؤيا فأرسلوني إلى يوسف فلقي يوسف ، وقال بعد ما استفسر حالته : "يوسف أيها الصديق" فإن ترك هذه الجمل بين الجملتين ليس بعيب ، وهذا ما يفهم من الكلام ، وعامة تحذف في الكلام الشفوي السلاسل المتخللة في الكلام .

قد ورد حذف هذه السلاسل في القرآن الكريم في عدة مواضع، وإن السلاسل التي تعرض أثناء الكلام هي تكون حاملةً للمعاني بوجه خاص ، فتذكر في الكلام الرباني كما يكون الحوار الإنساني بأحسن أسلوب، تارة بالإيجاز ، وتارة بالتفصيل. ويعرف به الكيفيات الناتجة منها ، فإن القرآن قد ترك السلاسل التي تكون في ذهن الإنسان بالنسبة إلى سياق الكلام، وإن هذا العمل في أثناء الكلام يتم حينما يكون المخاطب أمام المتكلم ، فيسهل فهم الغرض من أسرَّة وجهه ، لكن بغض النظر عن تسلسل القصة إذا حذفت الجوانب التي تكون ذات تأثير بالصوت والمناسبة والمكان في الكلام والمتكلم لا يحسن حذفها في الكلام الشفوي لأن الكلام لا يكون واضحا في هذه الصورة، فقد عبر القرآن عن هذه المعاني في مواضع مختلفة تعبيراً صادقاً حسناً .

مراعاة المناسبة والموضع :

إن النماذج القصصية لإبداء الكلام التى توجد في مواضع مختلفة من القرآن الكريم يكون فيها مراعاة تامة للمعنوية بالنسبة إلى مناسبتها في أسلوب رائع جميل. وتتجلى هذه المعنوية أيضا في قصص موسى عليه السلام التي حكيت في صياغة قصصية مؤثرة ، أما الجوانب الأخرى التي لا علاقة لها بالأصل ، ذكرت مجملة وبأسلوب عام ، وإذا كان مفهومها واضحاً من سياق الكلام حذفت هذه الجوانب، ولا شك أن للنبيﷺ تسليةً في قصص سيدنا موسى عليه السلام أنه كيف قوي قلبه مروراً بالأخطار، وكيف أدى فريضة النبوة بأمانة وصدق، وقاوم العدو اللدود(فرعون) حتى قهره، وكذلك ذكرت قصة سيدنا يوسف عليه السلام في أسلوب قصصي تجلت فيه جوانب الحياة الإنسانية مع خصائص القصة الأدبية، التى تقدم نماذج لمعاداة أنفسهم ، وتظهر فيه أيضا آثار البلوغ إلى منصب الغلبة والعز مروراً

بالعجز والاستكانة، وكذلك تتوافر في هذه السورة وسائل التسلية للنبي ﷺ في العداوة المستمرة من أسرته، وقد أُخبر مخاطبو القرآن الكفار والمسلمون بأن لا ينظروا فقط الجانب الظاهري للأوضاع، لأن المشكلات تتبدل بالتسهيلات من عندالله تعالى، ويفوز أصحاب الاستقامة والصبر، والقائمون على الحق، كما أبدى سيدنا يوسف عليه السلام بعد ما فاز ونجح في حياته: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف الآية/٩٠) وما أشبه حياة سيدنا يوسف وموسى عليهما السلام بحياة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشكلاته.

فكان ذكر قصتهما في أسلوب قصصي مبعث تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرت قصص سيدنا إبراهيم عليه السلام الإيمانية في مواضع متعددة بأسلوب قصصي، ظهرمنها مثال رائع للإيمان والفداء لله تعالى أمام المؤمنين، كما ورد في سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (سورة يوسف الآية/١١١) وقال الله مصدقاً بهذه القصص: ﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة يوسف الآية/١١١) وقال في مفتتح السورة: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ (سورة يوسف الآية/٣) وقال بعد قصة موسى عليه السلام في سورة القصص: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (سورة القصص الآية/٤٥) فهذه القصص سواء كانت لسيدنا موسى، أو سيدنا يوسف أو سيدنا إبراهيم عليه السلام جعلت هدى للمؤمنين إلى يوم القيامة وتسليةً للنبي ﷺ، وجعلت مبعث قوة وحكمة لعواطف الإيمان والاستسلام والرضا بالله تعالى، وذكر ذلك في أسلوب مؤثر ولغة رائعة من القرآن. إن الأسلوب القصصي من القرآن في تنوعه وتأثيره يحمل هداية تامة للأدب الإنساني، وكلما تدبره الإنسان استخرج من بحره لآلي ثمينة ودرراً غالية.

أسلوب قصص موسى عليه السلام:

إن أهم خصيصة للأسلوب القصصي في القرآن الكريم أن أسلوبه

للحوار مفصل ، وخال من التكلف والصناعة المحضة ، حتى في بعض المواضع موجز وباعث على الفكر، مثال ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما أكرمه الله عزوجل بالرسالة ، فقبل أن يكرمه خاطبه وقال له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ ، كان السؤال موجزاً لكن الرد عليه كان مفصلاً وخالياً من التكلف، سئل عن أمر واحد لكنه فرح من مخاطبته إياه أنه لم يجب عن سؤال واحد بل ذكر معه ما كان متعلقا به .

إن الأسلوب القصصي للقرآن يتجلى في الآيات التي تحكي قصة موسى عليه الصلاة والسلام، ويمكن أن تقاس الأخرى على هذا.

إن موسى عليه السلام لما ولد فكان من سنة الله تعالى أن يصل إلى بيت الملك ، رغم أن الملك كان عدواً لبني إسرائيل ومتخذاً ضدهم خطة الإجبار والقمع ، وقد أُخذ الملك موسى عليه الصلاة والسلام كطفل رضيع حتى صار ابنا متبنى له ، وحينما شب رأى رجلا من آل فرعون يظلم رجلا من بني إسرائيل فضربه موسى فمات، هذا الحادث جعل موقف موسى ذا حساسية ، فأشير عليه بأن يترك هذه البلاد وإلا يقع في مصيبة مرهقة ، ويمكن أن يقتل ، هنالك حدث في نفس موسى خوف طبيعي ، فخرج من البلاد ، وأبدى أمام الله ضعفه واستكانته في بيئة غريبة أجنبية فلطف الله به ، بحيث إنه قضى مدة عند رجل صالح وتزوج من ابنة له ثم راح إلى وطنه مع زوجته بعد ما قضى مدة ، وأكرم في الطريق بالنبوة فوصل إلى بلاده معظماً مكرماً ذا هيبة ولقي فرعون وتكلم معه بكل جراءة. اقرؤا هذه القصة في سورة القصص في أسلوب مؤثر وهي تصور الكيفية والنفسية التي عاشها في هذه المدة .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ .

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ .

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ

تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (سورة القصص الآيات/٢٩ – ٣٢)

انظروا في موضع آخر أن موسى عليه الصلاة والسلام لما وصل إلى قصر فرعون ودعاه إلى التوحيد فأراد فرعون أن يوقعه في قضية شائكة فسأل :

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى﴾ .

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى﴾ .

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى﴾ .

هذه الآيات تكشف كيفية هذه المناسبة كشفا واضحا وتصورها تصويراً لا نظير له ، وهذا التصوير ليس مبنياً على إشراقة ، تكون ميزة الأدب القصصي ، بل هو هادف وذو نصيحة ووعظ وتشجيع ، وقد تخللت فيه كلمة نصح حيناً ، وكلمة وعظ وإرشاد ، حتى كلمة تشجيع وتخويف بدون كلفة حيناً آخر ، فلا ينتهي هذا الأسلوب الفريد من نوعه على المعرفة به فقط ، بل يبعث الأحاسيس الإنسانية على فهم مقتضيات هادفة إيجابية بناءة .

شرح قصيدة:

"الكواكب الدرية في مدح خير البرية"

(الحلقة الثانية عشرة)

بقلم: الأستاذ الدكتور/غريب جمعة
جدة_ المملكة العربية السعودية

كم أبرأت وصباً باللمس راحته
وأطلقت أرباً من ربقة اللمم (٨٦)

(٨٦) قوله "كم أبرأت" أي كثيراً من المرات أبرأت إلخ، فكم خبرية بمعنى كثيراً، ومميزها محذوف، وقوله "وصباً" بكسر الصاد أي مريضاً ، ويجوز فتح الصاد فتصبح مرضاً ، لكن على تقدير مضاف، أي ذا مرض، والأول أولى وهو مفعول لأبرأت، وجعله بعضهم تمييزاً لكم، وجعل مفعول أبرأت محذوفاً، وقوله "باللمس" أي بسبب اللمس، وقوله "راحته" فاعل بأبرأت، وأشار بذلك إلى ما روي من أن عين قتادة بن النعمان أصيبت يوم أحد ووقعت على وجنته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : إن لي امرأة أحبها، وأخشى أنها إن رأتني على هذه الحال قذرتني وارتفع حبي من قلبها، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم عينه بيده، وردها إلى موضعها، وقال : اللهم أكسبها جمالا، فكانت أحسن عينيه،[1] ومن أن محمد بن حاطب احترقت يده بالنار فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم فمسح عليها فبرأت من ساعتها، ومن أن شرحبيل الجعفي كانت بكفه سلعة

[1] يقول كاتب هذه السطور : من أجود ما قيل في هذا الشأن أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما سأل واحداً من أولاد قتادة : ابن من أنت ؟ قال :

انا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فقال عمر بن عبد العزيز :

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... وشيباً بماء فصارا بعد أبوالا

ثم أحسن صلته وأجازه. القعب : بفتح القاف وسكون العين، القدح الغليظ الضخم.

(شقة) تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكا للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يدلكها بكفه حتى لم يبق لها أثر، وغير ذلك من وقائع كثيرة، وقوله "وأطلقت" أي وصلت راحته وقوله "أرباً" بفتح الهمزة وكسر الراء بوزن فرجاً أي أرب وحاجة وهي أعم من أن تكون عطاء أو شفاء أو خلوصاً من إثم وبعضهم ضبطه بضم الهمزة وفتح الراء، وفسره بالعقد، وقوله " من ربقة اللمم" أي من عقدة الجنون، فالربقة بكسر الراء وسكون الباء : العقدة، واللمم بفتح اللام الجنون ويصح تفسيره بالذنوب والمعاصي، وفي الكلام استعارة تصريحية حيث شبه تعلق الجنون أو المعاصي والذنوب بالحبل الذي فيه عرى تربط فيها أعناق الغنم لئلا تذهب، واستعير لفظ المشبه به وهو الربقة للمشبه وأشير بذلك إلى ما روي من أن امرأة أتت للنبي صلى الله عليه وسلم بابن لها مجنون فمسح بيده المباركة على صدره فثع ثعة بالمثلثة والعين المهملة، أي قاء قيئة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود وبرئ لوقته.

وأحيت السنة الشهباء دعوته

حتى حكت غرةً في الأعصر الدهم (٨٧)

(٨٧) قوله "وأحيت السنة الشهباء" إلخ، أي وأخصبت السنة الشهباء إلخ، ففيه استعارة تصريحية تبعية، لأنه شبه الإخصاب بالإحياء واستعار المشبه به للمشبه، واشتق من الإحياء بمعنى الإخصاب أحيت بمعنى أخصبت، أو استعارة بالكناية، وتخييل ، لأنه شبه السنة الشهباء بإنسان ميت تشبيهاً مضمراً في النفس وحذف لفظ المشبه به، ورمز إليه بشيئ من لوازمه وهو الإحياء ، ولا يخفى أن السنة مفعول مقدم، ودعوته فاعل مؤخر، والشهباء : صفة للسنة، وهي قليلة المطر، سميت بذلك لأنها تشبه الفرس الشهباء، وهي التي يغلب بياضها على سوادها ، وإنما أشبهتها لغلبة بياض الأرض فيها، لعدم النبات على سوادها بالنبات، وقوله "دعوته" أي بالسقيا وقوله " حتى حكت غرةً في الأعصر الدهم" غاية لقول "وأحيت" وغرةً بالنصب على أنه مفعول لحكت وغرة كل شيئ أحسنه والأعصر جمع عصر، وهو الزمن والدهم بضم الدال والهاء جمع أدهم وهو الأسود لسواد الأرض فيها بالزرع، شديد الخضرة، حتى يرى أنه أسود، فتلك السنة

كثر خصبها جداً، حتى كأنها غرة في تلك الأعصر وأشار بذلك إلى ما رواه الشيخان عن أنس : "أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فقال : يا رسول الله ! هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم أغثنا (ثلاثاً) وما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة (بفتح القاف والزاي أي قطعة سحاب) فطلعت سحابة ثم أمطرت والله ما رأينا الشمس سبتاً (أي أسبوعاً، ثمانية أيام) ثم دخل في الجمعة الأخرى ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال : يا رسول الله ! هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله أن يمسكها عنا فرفع يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا، فأقلعت، أي انكشفت، وخرجنا نمشي في الشمس، وسئل أنس : أهو الرجل الأول؟ قال : لا أدري.

بعارض جاد أو خلت البطاح بها

سيب من اليم أو سيل من العرم (٨٨)

(٨٨) قوله "بعارض" إلخ أي أحيت السنة الشهباء دعوته بعارض إلخ. فالجار والمجرور متعلق بأحيت، ويصح تعلقه بحكت والمراد بالعارض السحاب الذي أرسله الله تعالى بسبب دعوته صلى الله عليه وسلم وقوله "جاد" أي جاد هذا العارض (وهو السحاب) بالمطر الكثير، وفي قوله "جاد" نوع احتراس لأن العارض قد يكون مهلكاً وقد يكون الاحتراس في قوله "وأحيت" وقوله "أوخلت" أي أو ظننت، وأو بمعنى "الواو" وإنما عبر بأو ليستقيم الوزن، وبعضهم جعلها بمعنى إلى، أي ظننت كما في قول الشاعر:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى

فما انقادت الآمال إلا لصابر

فأو فيه بمعنى إلى والمعنى إلى أن أدرك المنى، وقوله "البطاح" بالنصب على أنه مفعول أول لقوله خلت، وجملة قوله " بها سيب من اليم أو سيل من العرم" سدت مسد المفعول الثاني، والبطاح جمع أبطح، وهو الوادي الذي يتسع وفيه دقائق الحصى، والضمير في قوله "بها" راجع للبطاح و "السيب" الجري و "اليم" البحر، ومن الداخلة عليه ابتدائية والعرم بفتح العين وكسر الراء في

الأصل اسم لما يمسك الماء من بناء وغيره، وهو أيضاً اسم لواد و"من" الداخلة عليه للابتداء وهذا مأخوذ من قوله تعالى "فأرسلنا عليهم سيل العرم" (سبأ/١٦) أي سيل الوادي الممسوك بالسد الذي بنته بلقيس، وهو بناء عظيم محكم -على ما ذكره أهل التفسير والتاريخ- وإنما خص اليم بالسيب والعرم بالسيل لأن ماء اليم لكثرته يجري في الأرض المنبطحة إلى أسفل، وإلى فوقه، وماء العرم غالباً إنما يقع في أعلى الأرض، فلا يجري إلا سائلا، و أو الثانية للتخيير، فالمعنى أنت بالخيار، فإما أن تشبه الماء الكائن على سطح الأرض بسيب البحر، وإنما أن تشبه بسيل السد، أو للتشكيك فإن الناظر يتشكك في الماء الكثير الكائن على سطح الأرض هل هو سيب أو سيل من السد.

دعني ووصفي آيات له ظهرت
ظهور نار القرى ليلاً على علم (٨٩)

(٨٩) قوله "دعني" إلخ لما ذكر الناظم جملة من معجزاته صلى الله عليه وسلم قدر أن العدو المعاند والكافر الجاحد قالا له: كف عن ذكر هذه الآيات التي لا نسلمها فأجاب بقوله "دعني" إلخ كأنه يقول له: كيف تنكرها ولا تسلمها وقد ظهرت ظهوراً تاماً؟! وقوله "ووصفي آيات" أي ذكرى لها بالنظم، أخذاً مما يأتي وهو معطوف على الياء من دعني، أو مفعول معه، أي أزكي وذكري آيات أو مع ذكرى آيات، والمراد بالآيات المعجزات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وهو مفعول لوصفي وقوله "له" متعلق بمحذوف صفة للآيات ووصفها بذلك كاشف، لأن الظهور لازم لكل آية من آياته صلى الله عليه وسلم، ويصح أن يكون احترازاً عما ثبت بالآحاد فكأنه يقول للمنكر: أنا لا أصف إلا ما لا يمكن إنكاره لثبوته بالتواتر، وأما ما ثبت بالآحاد فلا، لأنه يمكن إنكاره وقوله "ظهرت" ظهور نار القرى أي ظهرت ظهوراً مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذي هو الضيافة، وقوله "ليلاً" ظرف لظهور نار القرى وقوله "على علم" أي على جبل، وقد جرت عادة الكرام من العرب بإيقاد تلك النار على الجبل ليهتدي الضيفان إلى منازلهم، والتنكير في الليل والعلم للنوعية أي ليلا حالكا أي شديد السواد على علم شامخ، أي مرتفع، أو للتعظيم.

فالدر يزداد حسناً وهو منتظم
وليس ينقص قدراً غير منتظم (٩٠)

(٩٠) قوله "فالدر" إلخ لما كان قد يقال إذا كانت آياته صلى الله عليه وسلم ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم فما فائدة وصفك لها بهذا النظم ؟ أجاب: بأنها وإن كانت آياته صلى الله عليه وسلم ظاهرة ظهوراً تاماً يزداد ظهورها بذكرها، ويزداد حسنها بنظمها، ولا ينقص قدرها منثورة لأنه ذاتي لها فلا يفارقها سواء كانت نثراً أو نظماً، نعم ما يحصل من زيادة الالتذاذ بسماعها منظومة ينقص مع الإخبار بها منثورة لأن ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف، واستدل على ذلك بأمر محسوس يدرك فيه ما ذكر بقوله "فالدر" أي فالدر المعلوم حسنه، وهو اللؤلؤ يزداد حسنا، والحال أنه منتظم في السلك لترتيبه وتنزيله في المنازل المتناسبة، وليس ينقص قدراً حال كونه غير منتظم لأن حسنه ذاتي له، فلا يفارقه سواء كان منظوماً أو غير منظوم، نعم الحسن الحاصل عند نظمه لما يحصل له من الترتيب والتناسب ينقص عند عدم نظمه لما علمت من أن ما يزيد بوصف ينقص بسبب ذلك الوصف، وكل من قوله "حسنا" وقوله "قدرا" تمييز محول عن الفاعل والتقدير في الأول: يزداد حسنه، وفي الثاني وليس ينقص قدره، وقد علم مما تقرر أن الواو في قوله "وهو منتظم" واو الحال، وأن قوله "غير منتظم" حال من فاعل ينقص، وفائدة قوله "وليس ينقص قدرا غير منتظم" الاحتراس الرافع لما يتوهم من أن ازدياد الحسن بالنظم يوجب نقص القدر عند عدم النظم.

فما تطاول آمالي المديح إلى
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم (٩١)

(٩١) قوله "فما تطاول" إلخ لما كان قوله "دعني ووصفي" إلخ قد يوهم أن آماله تطاولت بالمديح إلى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من الصفات، دفع ذلك بقوله "فما تطاول" إلخ، والفاء عاطفة، ويحتمل أن ما نافية، وتطاول فعل ماض، وآمالي فاعل، والمديح منصوب بنزع الخافض والمعنى على هذا: فلم تتطاول آمالي بالمديح الصادر مني إلى استقصاء ما فيه

صلى الله عليه وسلم من كرم الأخلاق والشيم لعلمي باليأس من ذلك، والعجز عما هنالك، ويحتمل أن "ما" استفهامية فتكون للاستفهام الإنكاري، وهي مبتدأ و "تطاول" مصدر مرفوع على أنه خبر ما الاستفهامية، فإنها مبتدأ كما علمت، وآمالي مضاف إليه، والمديح منصوب بنزع الخافض مثل ما مر على الوجه الأول، والمعنى على هذا: فما فائدة تطاول آمالي بالمديح إلى تمام ما فيه من كرم الأخلاق والشيم مع أنها لا تتناهى وما ذكرناه من أن المديح منصوب بنزع الخافض على النسخ التي فيها آمالي بالإضافة لياء المتكلم المحذوف لالتقاء الساكنين، وفي بعض النسخ آمال بلا ياء، وعليه شرح القسطلاني، وجعل المديح مجرورا، لأنه مضاف إليه، لكن على تقدير مضاف أي آمال صاحب المديح، والتطاول في الأصل مد العنق، والآمال جمع أمل وهو الرجاء، وقد شبه الآمال بذي عنق يتطاول أي يمد عنقه إلى ما يريد إدراكه تشبيها مضمرا في النفس، وطوي لفظ المشبه به ورمز إليه بشيئ من لوازمه وهو التطاول، ففي الكلام استعارة بالكناية وتخييل المديح هو الثناء الحسن، وقوله "إلى ما فيه" أي إلى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بتطاول، وقوله " من كرم الأخلاق والشيم" بيان لما فيه، والإضافة في ذلك من إضافة الصفة للموصوف، أي من الأخلاق والشيم الكريمة، والأخلاق جمع خلق بضمتين وهو الطبيعة والشيم بكسر الشين المشددة وفتح الياء جمع شيمة وهي الخلق بضمتين فعطف الشيم على الأخلاق من قبيل عطف المرادف، وهو في مقام المدح سائغ، وأيضاً قد يكون كرم الأخلاق عن استعمال وتكلف، فرفع ذلك بقوله والشيم فهو احتراس فكأنه قال: كرم أخلاقه صلى الله عليه وسلم من كرم طباعه لا بالاستعمال والتكلف لذلك من غير أن يكون طبعه.

فكرة الصحوة الإسلامية

في كتابات العلّامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ودوره فيها

غياث الإسلام الصديقي الندوي
ghayasul1v@gmail.com

الصحوة الإسلامية حقيقة لاتنكر والحاجة إليها ماسّة بسبب الصراع بين الحق والباطل، وإنها عامل مهمّ في مسيرة الدين الخالد. فكلّما عانت الأمة المسلمة من الفتن وكلّما أصبح أهلها فريسة للفلسفات الباطلة والتفريط في الدين والدنيا واتخاذ القرآن مهجورا والافتتان بالمادية وترجيح المصالح الشخصية على المصالح الاجتماعية وترجيح الدنيا الفانية على الآخرة الباقية الأبدية، نهض رجال الله للدعوة إلى الإسلام من جديد والثورة على الأخلاق الفاسدة الجاهلية والفلسفات المادية الباطلة وإنقاذ الأمة المسلمة من براثن الأعداء وتطهير الدين الحنيف من البدع والخرافات. ومن مثل هؤلاء الرجال كان شيخنا سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله رحمة واسعة). وعلى حدّ تعبير فضيلة الشيخ السيد محمّد الرابع الحسني الندوي " إنّه عاصر صحوات كثيرة يمضي عليها نحو نصف قرن، وعرف كثيرا منها عن كثب لاعن كتب، وكان له اتصال بقادة بعضها، وتقدير واعتراف بمجهودهم ونتائجه، وترحيب وتشجيع لبعضها، وتوجيهات ولفتات أخوية إلى ما يكمل النقص ويزيد في القوة والتأثير وإلى ما يستحق العناية الزائدة، والاهتمام الأكثر من القادة والموجهين والمسؤولين والعاملين، فتلقى ذلك- في أكثرالأحيان- بالشكر والتقدير".(١) وله كتيّب بعنوان "ترشيد الصحوة الإسلامية"، وهو في الحقيقة محاضرة ألقاها في أبو ظبي بدولة الإمارات، ويتجلى من خلالها موقف سماحته من الصحوة الإسلامية، وبجانب ذلك هي توجيهات مخلصة واستعراض دقيق في دراسة واسعة، وتجارب الدعوات والصحوات قديما وحديثا ولذلك أوّلا أحاول تقديم ملخصها كالآتي :

الصحوة الإسلامية مسؤولية كبيرة وأمانة دقيقة جليلة وهي من طبيعة الإسلام وواجباته. ويجب أن تمتد وتتسلسل وتتصل اتصالا مباشراً، لأن هذه الأمة هي الأمة المختارة الأخيرة المبعوثة للإنسانية جمعاء وهو تعبير نبوي عن هذه الأمة وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لبعض كبار الصحابة: "إنما بعثتم مبشرين ولم تبعثوا معسرين"، وقال سيدنا ربعي بن عامر ل"رستم" لما قال له: "ماالذي جاء بكم؟ قال: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جورالأديان إلى عدل الإسلام "ولا أبلغ ولاأوضح من قول الله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله". فكانت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرونة ببعثة أمة؛ بعثة مجموعة بشرية داعية واعية، كتبت لها الوصاية على المجتمع البشري في كل زمان ومكان والحسبة الخلقية والعقائدية والقيادية على الجيل الإنساني في كل عصر، فالصحوة الإسلامية حاجة البشرية الدائمة الخالدة، لاتقل في الأهمية عن الحاجة البشرية إلى مقومات الحياة كالغذاء والماء والهواء معنوياً، وهي في صالحها ومن مطالبها. وعدم وجودها ليس خطرا على الكيان الإسلامي والمجموعة الإسلامية فحسب، بل هو خطر على سلامة المجتمع البشري واتجاهه السليم، وبدونها تبقى الشعوب والأمم كقطعان غنم من غير راع، وسفينة مشحونة بالركاب من غير مجدف خبير قدير. وهذا العصر يحتاج إلى الصحوة الإسلامية أكثر من أي زمان لأن هذا العصرهوعصرالشهوات والشبهات وعصرالفلسفات، وعصرالأساليب الفكرية الأجنبية عن الإسلام، فنحن نرحب بالصحوة الإسلامية في كل بلد، وندعو لها بالتوفيق، ولكن هذا لايمنعنا من تناول هذه الصحوة بشئ من النقد الهادف، ومن وزن هذه الصحوة على ميزان العقيدة الإسلامية وعلى ميزان المقاييس والمعاييرالصالحة، وعندي أيها الإخوة ملاحظات ربما تنفع المساهمين في هذه الصحوة والداعين إليها والعاملين لها.

ثمّ قدّم سماحة العلامة خمسة شروط مهمة للصحوة الإسلامية. وهي كما يأتي :

أوّلها: أن تكون هذه الصحوة موافقة للعقيدة الإسلامية الصحيحة المنبثقة من الكتاب والسنة بحيث تتفق وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأسوته وأسوة الخلفاء الراشدين من بعده وفهم الراسخين في العلم وعقيدة جمهورالمسلمين ولاتتساق في التيارات السياسية والاتجاهات المرتجلة.

وثانيها: أن تتصف هذه الصحوة بشئ من التوسع والتعمق في الدراسة الدينية، وفي فهم الكتاب والسنة، وبالغذاء الفكري الصالح الذي ينور عقول الشباب المثقف ويعيد فيهم الثقة بصلاحية الإسلام للقيادة وحل مشاكل الحياة، ويجب أن يقترن بالصحوة الوعي المدني وفهم القضايا المعاصرة والحركات والتيارات العاملة النشيطة، وكذلك يجب عدم التفاضي عن الحقائق و واقع الحياة، والاجتناب عن الانطواءعلى النفس والذوق الخاص لأن نتائج كلّ ذلك وخيمة مؤلمة مفشلة. ومن المحتوم أن يستفاد من المجتمع الإسلامي الأول يعني مجتمع الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - في الوعي واليقظة، وقدّم العلامة لتأييد ذلك حديث النبي صلّى الله عليه وسلم: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين" و "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنورالله". وكذلك يجب العناية ببقاء الشعور بأهمية الجهاد في سبيل الله وفضله والاستعانة في ذلك بكتب تثير في العاملين الدعاة والمستمعين الحماس الديني وترخص الحياة ومتعها في سبيل إعلاء كلمة الله. وكذلك يجب الانتفاع بعبر التاريخ ودروسه أن حركات إصلاحية جذرية كيف تقع فريسة الجمود الذي هي تنشأ لإزالته وتفقد الحيوية والحركية..

وثالثها: أن لاتكون هذه الصحوة سلبية محضة تسرع إلى مجابهة الحكومات والطاقات ذات القوى والوسائل وتحدث لها مشكلات وعراقيل في الخطوة الأولى من غيرضرورة.

ورابعها: أن يتصف قادة الصحوة الإسلامية بشئ من العزوف عن المناصب والرئاسات والحياة الرغيدة، ومنافسة أرباب المناصب والجاه فيما وسع الله عليهم في الدنيا. ويتسمون بسمة الزهد والقناعة والتوكل حسب طاقتهم وفي الحدودالشرعية من غير رهبانية ولاغلو، وعلى قدم السلف الصالح وأصحاب العزيمة لأن منصب البعث الجديد خلافة للرسول الأعظم

صلى الله عليه وسلم وقد قيل له: "ولاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى"وأمره الله تعالى بأن يقول لأزواجه "إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن سراحاجميلا" وهذه سنة الله فيمن يختاره لهذا الأمرالعظيم ومن يرشح نفسه ويمنيها لهذا المنصب الخطير "ولن تجد لسنة الله تحويلا".

وخامسها: أن يقترن نشاط هذه الصحوة بروح التضحية والبطولة والجلادة والتقشف والقدرة على المغامرات- إن كان لابد منها- فإن الناس مازالوا مفطورين على تقدير الإيمان القوي والعزة وروح المخاطرة وعلى الإجلال لشئ لايجدونه عندهم.

وإذا كانت الصحوة الإسلامية في بلاد الأغلبية غيرالمسلمة والحكم الديمقراطي غير الإسلامي زاد الأمر خطورة، وهناك توجيهات أخرى يجب أن تعض النواجذ بها أوّلا بأوّل لإيجاد الصحوة الإسلامية فيها.

أوّلا: يجب على المسلمين في البلادغيرالمسلمة بصفة عامة، والعاملين في نطاق الدعوة والصحوة بصفة خاصة أن يمثلوا السيرة الإسلامية المثالية النموذجية إلى حد الإمكان بكل وضوح وجلاء أمام غيرالمسلين؛ فإن ذلك من أقوى أسباب احترام هذاالدين.

ثانياً: محاولة تكوين الجو الهادئ في البلاد والعمل بمبدأ "التعايش السلمي" للتمكن من القيام بأعمال بنائية وعمل بتعاليم الإسلام في سهولة وكرامة، وللاحتفاظ بقانون الأحوال الشخصية، والاطمئنان إلى ما اطمأن إليه سيدنا يعقوب عليه السلام حين سأل بنيه وأحفاده وأسباطه: "ماتعبدون من بعدي" ؟ فكان الجواب بلسان واحد : "نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاًواحداً ونحن له مسلمون".

ثالثاً: يجب على المسلمين ممارسة الحقوق المدنية والجمهورية في شجاعة وذكاء للمحافظة على الشخصية الإسلامية، وتتبع ما يسن من قوانين وماتتجه إليه البلاد، والتأثير في انتخاب الممثلين حتى لا يجبروا على ما لايتفق مع عقيدتهم وشريعتهم، وليعملوابوصية سيدنا عمروبن العاص لأهل مصر"إنكم في رباط دائم تشوف القلوب إليكم".

رابعا: العناية بتثقيف الجيل الجديد وترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوسه وعقليته، ومكافحة تأثير وسائل الإعلام المناوئة للإسلام، والتربية الثقافية في نفوس المسلمين شباباً وشيوخاً ورجالا ونساء بتقديم الغذاء الصالح والدواء الناجع والأدب الإسلامي القوي الجذاب، والإثارة فيهم الغيرة الدينية الكامنة. (انتهى ملخص محاضرة العلامة الندوي)

لم يكتف شيخنا الندوي بتقديم هذه التوجيهات والترشيدات بل لم يزل يبذل جهودا مكثفة لتحقيق الصحوة الإسلامية وزار البلدان العربية والإسلامية وخاطب عامة المسلمين وحكامهم وألّف كتبا قيمة في هذا المجال وفي مقدمتها كتابه الشهير"ماذاخسرالعالم بانحطاط المسلمين ؟" الذي أقام العالم الإسلامي وأقعده، وقام باستلفات أنظار المسلمين وغيرهم إلى إمكانية خسارة العالم بانحطاط المسلمين، وتلقّى إعجاباً شديدا في الأوساط العلمية والدعوية حتى يقول الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ كلية أصول الدين في الأزهر في تصديره لهذا الكتاب : (أشهد لقد قرأت الكتاب حين ظهرت طبعته الأولى في أقلّ من يوم، وأغرمت به غراما شديدا حتى لقد كتبت في آخر النسخة، وقد فرغت منه: إنّ قراءة هذا الكتاب يفرض على كلّ مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام".(٢)

وكتب الدكتور"بكنكهام" رئيس قسم الشرق الأوسط بجامعة لندن:

"إن هذا الكتاب أفضل نموذج، ووثيقة تاريخية؛ لأفضل مجهود للنشأة الثانية للمسلمين".(٣) وكتب البروفيسورسارجنت من جامعة كمبرج في إحدى المجلات الإنكليزية: "لوكان في بريطانيا قانون للحظرعلى المؤلّفات لكنت اقترحت أن يفرض الحظرعلى هذا الكتاب؛ لأنه يدين الحضارة الغربية".(٤) وكان الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ سيد قطب في مقدمة من رحب بهذا الكتاب، وعني به، وشجّع تلاميذه وإخوانه على مطالعته وهويقول في مقدمة هذا الكتاب:

"ما أحوج المسلمين اليوم إلى من يرد عليهم إيمانهم بأنفسهم وثقتهم بماضيهم ورجاءهم في مستقبلهم....وما أحوجهم لمن يرد عليهم إيمانهم بهذا الدين الذين يملكون اسمه ويجهلون كنهه، ويأخذونه بالوراثة أكثرمما

يتخذونه بالمعرفة. وهذا الكتاب الذي بين يديّ: "ماذاخسرالعالم بانحطاط المسلمين" لمؤلفه السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي من خيرما قرأت في هذا الاتجاه، في القديم والحديث سواء".(٥)

ربط المؤلف في هذا الكتاب خسارة العالم بانحطاط المسلمين، وحرمان الدنيا بتخلّف الأمة المسلمة، كأنّ المسلمين هم العامل الأساسي المؤثر في مجاري الأمور في العالم كلّه. وبجانب هذا الكتاب هناك كتب أخرى للعلامة الندوي في هذا المجال، منها كتابه "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية" وهو استعراض الفكرة الغربية بتفاصيلها في الأقطار الإسلامية وتنبيه المسلمين من الأخطار المحدقة بهم، وبيّن المؤلف فيه ثلاثة مواقف من الحضارة الغربية: الموقف الأوّل هوالموقف السلبي وهوأن يرفض العالم الإسلامي الحضارة الغربية وماجاءت به وهوموقف المعارض الثائر أو المعتزل الحائد وأمّا الموقف الثاني فهو موقف الاستسلام والخضوع الكامل، موقف التلميذ البار الصغير الذي لم يبلغ سن التمييز وأمّا الموقف الثالث فهو الذي يجب أن يقفه العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية، ويقول العلامة الندوي: "إنه لايمكن تحديد موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية حتى نعرف طبيعة الأمة الإسلامية، ومركزها في هذا العالم، ثم نعرف موقفها من هذه الحياة التي تصوغ الحضارات، وتشكل المجتمعات والمدنيات".(٦)

وعقب توضيح كلّ ذلك في ضوء القرآن والسنة يقوم العلاّمة بتعريف العبقري المسلم المطلوب الذي يحقق الموقف الثالث المنزّه من الإفراط والتفريط في معاملة الحضارة الغربية فيقول: "العبقري العصامي الذي يعامل الحضارة الغربية – بعلومها ونظرياتها واكتشافاتها وطاقاتها – كمواد خام، يصوغ منها حضارة قوية عصرية مؤسسة على الإيمان والأخلاق والتقوى والرحمة والعدل في جانب، وعلى القوى والإنتاج والرفاهية وحب الابتكار في جانب آخر، ولايعامل الحضارة الغربية كشئ قد تمّ تكوينه وتركيبه وختم عليه فلايؤخذ إلا برمته ولايقبل إلا على علاته، إنما يأخذها كأجزاء، يختار منها ما يشاء، ويركب منها جهازا يخضع لغاياته وعقيدته ومبادئه ونظام خلقه وما يكلفه به دينه من منهج

خاص للحياة، ونظرة خاصة إلى الدنيا، وسلوك خاص لبني النوع، وسعي خاص للآخرة، وجهاد دائم "حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله"، جهازا مؤسسا على الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه المثل الكامل، والإمام الدائم، والقائد المطاع، والنموذج المتبع والسيد المحبوب، والخضوع لشريعته كدستورللحياة، وأساس للتقنين، والدين الوحيد الذي تنال به سعادة الدنيا والآخرة ولا يقبل الله سواه".(٧)

ومنها كتابه "إذاهبت ريح الإيمان" وهومقتطفات من تاريخ الدعوة والجهاد في الهند في القرن الثالث عشرالهجري، وأضواء على حياة قائد هذه الدعوة والحركة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الذي أسس دولة إسلامية على منهج الكتاب والسنة في الحدود الهندية الشمالية الغربية تشتمل على "بشاور"، وما جاورها من البلدان والقرى في اليوم الثاني عشر من جمادي الآخرة سنة١٢٤٢هـ، ثمّ استشهد في اليوم الرابع والعشرين من ذي القعدة ١٢٤٦هـ، مع كبار أصحابه في سبيل الله بأرض بالاكوت في ولاية بنجاب من الهند، أجاد العلامة الندوي في بيان الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وجهوده الجبارة لإعلاء كلمة الله، وسيرة أصحابه و رفاقه وأخلاقهم في أمانة تاريخية وأسلوب قصصي جذّاب، وفي الحقيقة يشعر قارئ هذا الكتاب بلذّة الجهاد والحنين إلى الشهادة والاستماتة في سبيلها بجانب لذّة الأدب والأسلوب القصصي.

ومنها كتابه "روائع إقبال" الذي ترجم وشرح المؤلف فيه عدّة قصائد للشاعرالعظيم محمّد إقبال وهي تثير الحماسة الإسلامية والغيرة الدينية وتبعث الإيمان بالله وبنبيه الخاتم محمّد صلى الله عليه وسلم وبعبقرية سيرته وخلود رسالته، وعموم إمامته للأجيال البشرية كلها كما تبعث الحرص على سيادة الإسلام، وتسخيرهذا الكون لصالحه، وبيّن العلامة في ضوء هذه القصائد حقيقة الحضارة الغربية وجنايات التربية الغربية، والإنسان الكامل وعلاقة المسلم بالعالم ومقام الإمامة والريادة والتوجيه، والحقائق التاريخية، ومؤامرة أنصارالباطل في إضعاف الروح الديني وكيفية عودة الجاهلية وإمكانية اليقظة الإسلامية وأسبابها وما إلى ذلك من روح الصحوة الإسلامية .

وكان يعتقد العلامة الندوي أنّ نهوض العرب برسالة الإسلام الخالدة ضروري حتماً لإيجاد الصحوة الإسلامية في العالم كلّه، ولذلك كتب مقالات كثيرة مؤثّرة بيّن فيها سرّنجاح العرب وفوزهم بالقيادة العالمية وهو صلتهم الوطيدة بالإسلام ورسالته الأبدية والاجتناب من القومية والفلسفات المنحرفة، منها "اسمعي يا مصر"، و"اسمعي ياسورية"، و"اسمعي يا زهرة الصحراء" (الكويت)، و"اسمعوها مني صريحة أيها العرب"، و"إلى الراية المحمّدية أيها العرب"، "أجاهلية بعد الإسلام أيها العرب ؟" وكذلك صدرت له كتب وانطباعات عن رحلاته إلى العالم العربي مثلا: "الفتح للعرب المسلمين"، و"كيف دخل العرب التاريخ ؟"، و"مذكرات سائح في الشرق الأوسط" ، و"من نهركابل إلى نهريرموك" ، "كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقية"، و "ردّة..ولا أبا بكر لها" ، و"كيف ينظرالمسلمون إلى جزيرة العرب ؟" يوضّح المؤلف في كل ذلك علاقة العرب بالإسلام، ويدعوهم جميعا بقلب جريح وبكل إخلاص ووفاء فيقول في كلمة ألقاها إلى ممثلي البلدان العربية في المؤتمر الثقافي الآسيوي المنعقد في دلهي عام ١٩٤٧م:

"إنّ آباءكم أيها السادة المسلمون قد انتشروا في عواصم الجاهلية الأولى ومراكزها الكبري، يقولون: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جورالأديان إلى عدل الإسلام، وخلصوا الأمة الرومية من عبادة المسيح، والصليب والأحبار والرهبان والملوك، خلّصوا الأمة الفارسية من عبادة الذئب الأبيض، والأمة الهندية من عبادة البقر، وأخرجوها فعلا من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جورالأديان إلى سعة الإسلام.

هذه هي الدعوة التي تهيب بكم يارجال العالم الإسلامي، وهذه الإنسانية البائسة تستصرخكم وتستغيثكم على أعدائها، وليس العالم اليوم بأقل ظمأً، وأقل فاقة إلى الدعوة الإسلامية الصحيحة منه بالأمس، وإنه لايختلف عما كان عليه في القرن السادس المسيحي".(٨)

ويقول في مقاله "كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقية":

"يجب علينا- نحن معشرالعرب والمسلمين- أن نستأنف السير من جديد فنعترف – بالشجاعة التي عرف بها العرب في التاريخ- أن الطريق

الذي اخترناه لبناء كياننا الجديد، واسترداد مركزنا في العالم الجديد، وفي كسب القوة والوحدة، وفي إنقاذ فلسطين، كان طريقا عقيماً منحرفاً يحبط المساعي ويخيب الآمال، وأنه لايقترن بنصرالله وتأييده، حين لاعزّ ولا كرامة، و لا ظفر و لا انتصار إلا بنصره وتائيده، ونعترف بشجاعة أن الله ربط مصيرنا بالإسلام وبمحمّد النبي الأمي، وبتائيد دينه "فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون". ونعترف بشجاعة أن العرب في حاجة إلى إيمان جديد بالدين الخالد القديم ، وإلى حب يملأ جوانح النفس، ويغمر العقل و القلب بعنوان مجدهم، وسرّ شرفهم وكرامتهم، ومنبع قوتهم وانتصارهم محمّد بن عبدالله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، الذي لايعزالعرب ولا الأتراك ولا الهنود إلاّ بإيمان برسالته الخالدة، وتعاليمه الفاضلة، وإمامته الدائمة، وقيادته الرشيدة، ونعترف بشجاعة أن المسلمين والعرب لاتفيدهم قوة أجنبية ولاتخدمهم مصالح سياسية للأجانب تتقلب مع الرياح، وتخضع للمنافع والأرباح، فليتوكلوا على الله أولا ثم ليعتمدوا على سواعدهم وشجاعتهم وإيمانهم، وأخلاقهم وصفاتهم ثانيا".(٩)

ويقول في مقاله "ردّة.. ولا أبا بكرلها":

"إنّها قضية العالم الإسلامي الكبرى، إنّها مشكلة الأمة الإسلامية الكبرى، ردّة تنتشر وتغزو المجتمع الإسلامي، ثمّ لا ينتبه لها أحد، ولا يفزع لها العلماء ورجال الدين، لقد قالوا قديما: "قضية ولا أبا حسن لها " ، وأقول: ردة ولا أبا بكر لها، إنّها قضية لا تطلب حرباً، ولا تطلب تهييج الرأي العام ولا تطلب ثورة، ولاتطلب عنفا، بل إنّ العنف يضرّها ويهيجها، والإسلام لايعرف محاكم التفتيش، ولايعرف الاضطهاد، إنّها تطلب عزماً، وتطلب حكمة، وتطلب صبراً واحتمالا وتطلب دراسة".(١٠)

ويقول في نفس المقال: "إنّ جهاد اليوم، وإنّ خلافة النبوة، وإنّ أعظم القربات، وأفضل العبادات أن تقاوم هذه الموجة اللادينية التي تجتاح العالم الإسلامي وتغزو عقوله ومراكزه، وأن تعاد الثقة المفقودة إلى نفوس الشباب والطبقات المثقفة بمبادئ الإسلام وعقائده، وحقائقه ونظمه، وبالرسالة المحمّدية، وأن يزال القلق الفكري والاضطراب النفسي اللذان

يساوران الشباب المثقف، وأن يقنعوا بالإسلام عقلياً وثقافياً، وأن تحارب المبادئ الجاهلية التي رسخت في النفوس، وسيطرت على العقول علمياً وعقلياً، وأن يحل محلها المبادئ الإسلامية باقتناع وإيمان وحماسة". (١١)

والواقع أنّ من يدرس مؤلفات سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي وإنتاجاته الفكرية والأدبية ويستعرض رحلاته ولقاءاته، يتبيّن له أنّ سماحته أدّى دورا ملموسا في تعميم جوّ للصحوة الإسلامية عن طريق تأليفاته المهمّة ورحلاته الدعوية ولقاءاته المخلصة ولم يكتف بتأليف كتب أو إلقاء محاضرات بل وراسل الملوك والحكام، وأشار إلى مواطن الضعف والخطرالذي يحدق بالأمة الإسلامية وخاصة حكام جزيرة العرب الذين ناشدهم أن يكونوا أسوة وقدوة لحكام البلدان الأخرى في سائرأرجاء العالم، ونبّه الشعوب والحكام و أولي الأمر ممّا وقعوا فيه من البعد عن القيام بمسؤلياتهم وما يحدق بهم من الأخطارالمدمّرة والتيارت الفكرية والاتجاهات القومية والحضارة الغربية الماجنة والشيوعية والاشتراكية الباطلة والعلمانية الفتاكة والتحديات المختلفة للأمة المسلمة، وقام بالدفاع عن الإسلام ضدّ القومية العربية التي رفع علَمها الرئيس المصري جمال عبد الناصر فيما بين الستينيات من القرن المنصرم، وقد نشرعددا من المقالات ضدّ القومية العربية في مجلّته هذه "البعث الإسلامي" الصادرة من جامعة ندوة العلماء لكنؤ.

وخلاصة القول أنّ سماحة العلامة كان ينتهز كلّ فرصة للدعوة والتوجيه، ويشترك في الجلسات والندوات، و يجري مقابلات ولقاءات ويوجّه أحاديث دعوية ويذكّر برسالة الإسلام وينبّه إلى المسؤولية نحو الحفاظ على الكيان والقيم والمبادي التي هي ثروة غالية للأمة المسلمة. وكثيرا ما كان يخاطب العلاّمة الناس بحماسة وقوّة وشدّة ولباقة، ويثير الغيرة الدينية والحمية الإسلامية، وكما يقول الأستاذ محمد اجتباء الندوي "وكانت كلماته تجد آذانا صاغية وقلوبا واعية وعقولا ذكية متقدة بالفكرة والنشاط والعمل المنتج المثمر وهذا هو تأثيره في الأمم والشعوب"(١٢) وأقول هذا هو دوره المرموق في امتداد الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي بأسره. استمرّ سماحة العلاّمة طول حياته في جهوده للتوعية الدينية والدعوة إلى

الإسلام من جديد، وطريق الوسطية والاعتدال من غير تطرّف وانحراف عن الصراط المستقيم، ولم يزل يشتغل بإثارة الغيرة الدينية والحماسة الإيمانية والروح البطولية في الشعب الإسلامي بكلّ قوّة وصراحة ونشاط، وعن طريق ذلك أدّى دورا ملموساً في خلق جوّ للصحوة الإسلامية في الهند وجميع الأرجاء المعمورة قدر المستطاع. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحواشي

١- (سماحة العلامة) أبوالحسن علي الحسني الندوي، ترشيد الصحوة الإسلامية، دارالسلام- القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣ م

٢- (سماحة العلامة) أبوالحسن علي الحسني الندوي، ماذاخسرالعالم بانحطاط المسلمين، ص- ٨، المجمع الإسلامي العلمي- لكنؤ، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠١م

٣- أيضا، ص- ٩

٤- أيضا، ص- ٩

٥- أيضا، ص- ٤٤

٦- (سماحة العلامة) أبوالحسن علي الحسني الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص- ٢٠٥، المجمع الإسلامي العلمي- لكنؤ، سنة ١٩٩٨م

٧- أيضا، ص- ٢١٧

٨- (الأستاذ) محمّد واضح رشيد الندوي، أدب الصحوة الإسلامية، ص١٠٣، دارالرشيد- لكنؤ، الهند، سنة ٢٠٠٩م

٩- (سماحة العلامة) أبوالحسن علي الحسني الندوي، كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقية، ص- ٢٨، الطبعة الثانية، المجمع الإسلامي العلمي - لكنؤ الهند، سنة ١٩٩١م

١٠- (سماحة العلامة) أبوالحسن علي الحسني الندوي، ردّة ولا أبابكر لها، ص- ١٤، المجمع الإسلامي العلمي - لكنؤ، الهند، سنة ١٩٨٠م

١١- أيضا، ص- ٢٥

١٢- (الدكتور) محمّد اجتباء الندوي، أبوالحسن علي الحسني الندوي : الداعية الحكيم المربي الجليل، ص- ٦٥، دارالقلم - دمشق، سنة ٢٠٠١م

المديح النبوي والقصيدة العنبرية للسيد صديق حسن خان

(الحلقة الأخيرة)

د/عبيدالرحمن طيب[1]

نبذة عن حياة العلامة صديق حسن خان

في عام ١٨٧١م تزوج من النواب شاه جهان بيكم، حاكمة الإمارة ومنحته الحكومة البريطانية في الهند لقب " النواب والا جاه أمير الملك" وأمرت إطلاق (١٧) مدفعية تحية وتقديراً واحتراماً له. وكانت الأسرة الحاكمة ضد هذا الزواج إذ أنها كانت تخشى أن تنتقل الإمارة الى أسرة صديق خان فحاكت مؤامرات ضد النواب صديق خان ورفعت الشكاوى إلى الحكومة البريطانية ضده، ونتيجة لذلك سلبت ألقابه ومنع إطلاق المدافع في تكريمه وحبس في قصر " نور محل" حيث مات في ٢٠/ فبراير عام ١٨٩٠م وكان قد بلغ من العمر(٥٩) سنة.

قد منح الله سبحانه وتعالى العلامة صديق خان ذكاء حادا وذاكرة قوية ورغبة شديدة في الحصول على العلوم وترويجها ونشرها فكان كل ما يقع بيده يقرأه من البداية إلى النهاية وكذلك كان لا يطيب له الطعام ولا المقام إذا لم يشتغل يوما ما بالقراءة والكتابة.

وتولى العلامة صديق خان مهمة التأليف في عهد مبكر في حين كان يدرس في مدينة دلهي واستمر في هذه العملية إلى أن وافته المنية وبعد انضمامه إلى إمارة بهوبال والزواج من النواب شاه جهان بيكم تمكن من استغلال كافة الموارد والتسهيلات الحكومية المتوافرة لدى الإمارة فدعا العلماء والأدباء إلى الإمارة لنشر العلم والمعرفة وقدرهم تقديراً بالغاً واستعان بهم في نشر العلوم الإسلامية والعربية، وكانت في إمارة بهوبال ثمانية مطابع تحت تصرفه فقام بالكتابة والتأليف بشكل منقطع النظير باللغة العربية

[1] الأستاذ المساعد بمركز الدراسات العربية والإفريقية ، كلية اللغات ، جامعة جواهرلال نهرو- نيودلهي

والفارسيّة والأردية وقرض الأشعار في هذه اللغات ويبلغ عدد مؤلفاته (٢٢٢) كتاباً بما فيه (٥٦) كتابا باللغة العربية.

والخدمات القيمة التي أسدى النواب صديق خان إلى اللغة العربية تشمل كافة العلوم الإسلامية وعلى سبيل المثال كتب في التفسير ومنها "فتح البيان في مقاصد القرآن" وكتب في الحديث ومنها "السراج الوهاج في كشف مطالب الصحيح لمسلم بن الحجاج " وكتب في الفقه مثل "حصول المأمول في علم الأصول" وفي العقيدة مثل "الدين الخالص" وفي التقليد مثل "الطريقة المثلى في الإرشاد إلى ترك التقليد والإتباع ". وفي فن الرجال مثل "التاج المكلل". وإلى جانب ذلك ساهم مساهمة غالية في الأدب العربي فكتب "البلغة في أصول اللغة"، و"العلم الخفاق في علم الاشتقاق" و"نشوة السكران في تذكار صهباء غزلان" (في العشق وجمال المرأة) و"لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من العرب الدخيل والمولد والأغلاط" و"غصن البان المؤرق بمحسنات البيان" وبعض المخطوطات مثل "ربيع الأدب" و كتب أخرى بدون اسم، وفي الشعر "الكلمة العنبرية في مدح خير البرية" (مدح النبي صلى الله عليه وسلم)[٢]

الشعر العربي: قد وهب الله العلامة صديق حسن خان مواهب جمة ورغبة شديدة في الدراسة وللحصول على العلم فانه بلغ في وقت قصير بفضل مواهبه الخارقة والفرص المتوافرة له في الاستفادة من كبار العلماء والأدباء والشعراء قمة لم يبلغها كثير من ذوي المواهب العليا وهذا فضل الله يعطيه من يشاء، ومما خوّله الله من الصلاحيات النادرة صلاحية قرض الشعر والذوق السليم للتمييز بين الجيد والردي، وقد قرض العلامة أشعاراً كثيرة منثورة في مختلف كتبه ولكن لم يدون له ديوان باللغة العربية على حد علمي، وقد وجدت قصيدة رائعة قرضها النواب في أيام شبابه وهي تنم عن رغبته في الشعر والأدب ومعرفته الواسعة العروض والقوافي وعن مقدرته اللغوية كذلك، ومن هذه القصيدة ننقل الأبيات التالية:

للّه غـــانية في مهجتي نـــزلت : مالت إلى الوصل شوقا ثم ما وصلت

٢ بحث جامعي لندكتور عبيدالرحمن طيب، (لم يطبع بعد).

لله درك يا صـــديق من كـلم : نظمتها وهي في أوصافها كملت
صلى الله الإله على المختار من مضر : ما دام سنته للمؤمنين حلت [٣]

ومما لاشك فيه أن لصديق خان براعة في مجال الشعر والأدب، ولذا عده العلامة الشيخ عبد الحي الحسني من نخبة الشعراء الهنود باللغة ا ربية، وذكر بعض الأبيات من قصيدته العنبرية في كتابه " الثقافة الإسلامية في الهند".

وأكثر قصائده يشتمل على مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومن أحسن هذه القصائد قصيدته العنبرية في مدح خير البرية وهذه القصيدة موجودة في كتاب "مآثر صديقي"[٤] وكذلك في نفح الطيب .

القصيدة العنبرية على محك النقد والتحليل:

وقبل الخوض في صميم الموضوع يبدو لي من المناسب أن أتوقف قليلا عند كلمة المديح لغة واصطلاحاً. ففي القاموس "المدح نقيض الهجاء وهو حسن الثناء، يقال مدحته مدحة ومدحه يمدحه مدحاً ومدحةً، هو قول بعضهم والصحيح أن المدح مصدر، والمدحة اسم وجمعها مِدَحٌ ، والمديح جمعه المدائح والأماديح ، الأخيرة على غير القياس، ونظيره حديث وأحاديث. والمدائح جمع المديح من الشعر الذي مدح به كالمدحة والأمدوحة ورجل مادح من قوم مدح ومديح وممدوح"[٥].

وفي القاموس الرائد: "المدح في الشعر هو غرض من أغراض الشعر الغنائي يعبر عن عواطف الإعجاب والاحترام والشكران حيال شخص أو حزب أو أمة، ويكون التعبير عن هذه العواطف بسرد مآثر الممدوح وعرض أمجاده ومحامده[٦]". وفي المعجم "مدح – مدحا أثنى عليه بما له من الصفات، المديح ج مدائح، المحاسن تذكر في المدح "[٧]. فحاصل القول إن المديح هو

٣ نشوة السكران في صهباء تذكار الغزلان للسيد صديق حسن خان، ص (٨٧- ٨٩)
٤ مآثر صديقي للسيد نورالحسن خان ، ج ٢/ء ٢٦- ٢٧
٥ لسان العرب: ابن منظور، مادة الميم.
٦ الرائد معجم لغوي عصري، دارالعلم للملايين، بيروت.
٧ المعجم الوسيط، دارالمعارف ديوبند، الطبعة الرابعة ، ٢٠١٠م.

ذكر محاسن شخص ما بقالب شعري، والمديح النبوي هو الكلام المنظوم في ذكر محاسن النبي صلى الله عليه وسلم ومناقبه .

والسؤال الآن ما هو المديح النبوي اصطلاحاً. وهل يشترط فيه أن يكون الشاعر مؤمناً بالله وبمحمد نبياً ورسولا وأن يقرض المديح حباً وتمجيداً له، وأما ماعداه فلا يُعد من المدائح، ونرى في هذا الصدد أن الدكتور زكي مبارك لم يعترف بقصيدة الأعشى من المدائح النبوية قائلا إنه لم يكن يؤمن بنبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم فيكتب:"ولكن هذا ليس من المدائح النبوية، أي ليس من الفن الذي ندرسه في هذا الكتاب، لأن الأعشى لم يقل هذا الشعر وهو صادق النية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما كانت محاولة أراد بها التقرب من نبي الاسلام، وآية ذلك أنه انصرف حين ضرفته قريش، ولوكان صادقا ما تحول، .... وهذه القصة تدل على أن مدحه للرسول لم يكن إلا محاولة كسائر محاولات الشعراء الذين يتكسبون بالمديح، وليست قصيدته أثرا لعاطفة دينية قوية حتى تلحق بالمدائح النبوية."[٨] ويعنى ذلك أن الدكتور زكي مبارك يرى الإيمان والعاطفة الدينية من الشروط اللازمة للمديح النبوي .

ولعل هذا هو السبب انه لا يعد قصيدة كعب بن زهير من المدائح النبوية قائلا إنه لم يقرضها حبا واخلاصا له بل استعطافا واتقاء من غضب الرسول صلى الله عليه وسلم حيث اهدر دمه بسبب هجائه اللاذع المتواصل رغم أن جميع المسلمين يعترفون بأنها من أجلّ وأولى المدائح النبوية إذ هي مفعمة بروح الايمان والاخلاص والتفاني، ويقول زكي مبارك في هذا الصدد:"وهذه الظروف ترينا أن كعب بن زهير لم يقل لاميته وهو مأخوذ بعاطفة دينية قوية، تسمو به إلى روح التصوف، إنما هي قصيدة من قصائد المديح ، يقولها الرجل حين يرجو أو يخاف، وليست من المدائح النبوية في شيئ"[٩]. ومن الغريب جدا أنه لا يرى كثيراً من مدائح حسان من المدائح النبوية وكتب أن قصيدته الهمزية هي بذور أولية للمديح النبوي، فقد كتب

٨ المدائح النبوية في الأدب العربي للدكتور زكي مبارك، ص:١٩- ٢٠

٩ المرجع السابق، ص:٢٣

"وكذلك يمكن عد هذه القصيدة من بذور المدائح النبوية":[10] ومن الصعب جدا أن نضع حداً معيناً وتعريفاً محدداً للمديح النبوي على ضوء ما رأيناه من القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك إذا لم نعترف بالقصائد الأخرى من المسلمين سواء قرضوا استغفارا منه أو دفاعا عن نفسه أو مجرد حب وتقدير له، وأرى أن هذه القصائد كلها من المدائح النبوية وهي أشكال وصور وأنواع مختلفة لها، وقد قرضها أصحابها على طريقتهم، فمنها ما للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل القصائد التي قرضها حسان بن ثابت في الدفاع عنه، ومنها ما للاستعطاف والاستعذار مثل قصيدة البردة لكعب بن زهير، ومنها للاعراب عن الحب الخالص وفداء النفس والعرض والمال والتقرب منه والاشتياق والتمني إلى زيارة مدينته وآثاره صلى الله عليه وسلم والاستهداء والاستشفاع منه يوم القيامة مثل قصيدة البوصيري وسائر المدائح النبوية التي قرضت في مختلف العصور والتي لاتزال تنشد، ومنها قصيدة صاحبنا العلامة سيد صديق حسن خان ألا وهي القصيدة العنبرية في مدح خير البرية[11]!

هذه القصيدة تتضمن ٧٠ بيتا وقد بدأها على غير نمط الشعراء الجاهليين أي لم يبدأ بالتشبيب وذكر الأطلال والبكاء عليها كما فعل الشاه ولي الله وابنه، فقد استهلها مباشرة بذكر تلك المدينة المنورة المقدسة التي يستريح فيها ذات النبي الكريم صلاة الله عليه وسلامه، ومطلعها :

اخترت بين أماكن الغبراء : دار الكرامة بقعة الزوراء[12]

وفيما يتعلق بخلفية هذه القصيدة فإنه يروى أن العلامة صديق حسن خان قرض هذه القصيدة في حين كان يمر بظروف معيشية ضنكة في حياته إذ توفي أبوه وعليه المسؤولية أن يدعم أسرته، ومن جانب آخر كانت الفوضى والبلوى تسود جميع أنحاء البلاد حيث كانت تشتعل نيران ثورة

---

١٠ المرجع السابق، ص:٣٥

١١ إننا لا نكاد نوافق على هذا القرار في قصائد المديح للنبي صلى الله عليه وسلم (التحرير)

١٢ مآثر صديقي : للسيد نورالحسن خان ، ج/٢، ص ٢٨، مطبع نول كشور لكناؤ ١٣٤٢هجـ الموافق عام ١٩٢٤م

١٨٥٧م وكان الناس يفرون باحثين عن ملجأ آمن، وفي هذه الظروف السيئة لجأت أسرة صديق خان إلى بلدة بلغرام قادمة من القنوج وهي بلدة معروفة بسبب أبنائها الأفذاذ الذين نالوا شهرة في العلم والفضل والأدب العربي وتقع بالقرب من مدينة لكناؤ، عاصمة ولاية أترا براديش، إحدى الولايات الهندية الشرقية، فأقامت أسرته في هذه البلدة.

وفي هذه الأيام حدث يوما أنه ذهب إلى النهر لغسل ثوبه والإغتسال فيه ونزع لباسه ووضعه على ضفة النهر ونزل في الماء ومرت به فجاءة وحدة السيخ من الجيش الهندي ونظروا إلى لون جسده الأحمر فظنّوا انه أحد أعضاء الجيش الإنجليز وكاد أن يفتح عسكري ناراً عليه إذ صاح أحد الفلاحين الذي كان قد عمل في بلدة قنوج تحت رعاية والده المكرم فنادى بأعلى صوته: لا تقتلوه، انه ابن فلان أعرفه جيدا. ولما اطمأن الجيش بأنه من أصل هندي لا يمت بصلة إلى الإنكليز تخلوا عنه ومضوا في سبيلهم، فشكر صديق خان الله القدير العليم وعاد إلى بيته، وفي هذا الوضع القلق المضطرب قرض هذه القصيدة المذكورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. وسماها "القصيدة العنبرية في مدح خير البرية".

وهذه القصيدة تمتاز بكونها تعبيراً حقيقياً عن عواطفه الجياشة ومشاعره الطيبة وحبه الصادق للنبي الكريم وروحه الطيبة ومفخرته للإنتماء إليه والاستغاثة والاستشفاع منه يوم لا تنفع فيه شفاعة غيره والاستضاءة والاستهداء به حيث لايكشف الظلام الحالك إلا هو، ولا يرجى إنارة القلوب إلا به، إذ هو نور من نور الله سبحانه تعالى، فهو الهادي في الدنيا والشافع المشفع في الآخرة ومن لم يستق من حوضه في الدنيا لن ينال قطرة من حوضه في الآخرة، فهو الملجأ للمظلوم والمأوى للمضطر والمثوى للمسكين والمستجيب للمستغيث .

هذه القصيدة تمتاز بلغتها الجميلة ومعانيها السامية لا مغالاة فيها ولا خرافات، صدرت من قلب مسلم حافل بروح التفاني والتضحية في سبيل الدين والحب الحقيقي لأحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم.

بدأ العلامة قصيدته هذه على غير طريق الشعراء القدامى أي بالتشبيب وذكر الأطلال والبكاء عليها، كما فعل كعب بن زهير وحسان بن ثابت والبوصيري وغلام علي آزاد البلكرامي ممن شرعوا قصائدهم بتشبيب المرأة وذكر الأطلال ثم أعرضوا عن ذلك ومدحوا النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن يشير العلامة صديق في قصيدته إلى المكانة الرفيعة لمدينة النبي صلى الله عليه وسلم كأنها بقعة من بقاع الجنة على الأرض، وكم شوقه وحنينه إلى جوها ورياحينها فيقول :

اخترت بين أماكن الغبراء : دار الكرامة بقعة الزوراء
هل لي مكان فيه أطلب راحتي : من دونها في البر والدأماء
ما فضلها فوق ا لمواضع كلها : إلا لعرف فاح في الأرجاء ١٣

ثم يعبر عن شوقه وحنينه إلى رؤية هذه البقعة المباركة حيث تطير الطيور وتتغنى حمد ربها فيقول:

قلبي يطير إلى طيور مروجها : وإلى جوار رياضها الفناء
وكيف الوصول إلى منازل طيبة : فيها لمفتقر حصول رجاء
ليس البلوغ بأرضها في قدرتي : شتان بين الهند والزوراء١٤

ثم يستطرد قائلا: ما لي سبيل إلى تلك الأرض المقدسة مهبط الوحي من حيث فاح عرفها في كل أرجاء العالم، ومن هذه المدينة أسرى ربنا الكريم بعبده للمعراج، وهذه الواقعة من أعظم نعم الله إذ هي ثبتت نبوته ونبوة آدم وسائر الأنبياء، ومن هنا مدينة النبي هي مثل ركن من أركان بيت الله التي يزورها الناس ويطوف بها ولا يمكن وصف مكانتها. وفيما يتعلق بالنبي ص فهو سبب لخلق السموات والأرض ونور الله أنار به ظلمات البر والبحر ونبراس جماعة الأنبياء وبه أصبحت جميع الملل السابقة والشرائع الماضية ملغاة، فعندما طلعت شمسه تبددت الظلمات، فهوملجأ ومأوى للمقهورين والمضطرين، ويظل الشاعر يثني على النبي صلى الله عليه وسلم ويمدحه حتى يعجز لسانه عن وصفه فيقول :

١٣ القصيدة العنبيرية من مآثر صديقي ج ٢/ ص: ٢٨
١٤ القصيدة العنبرية من مآثر صديقي ج ٢/ص:٢٨

ماذا يقرب في مديحك مادح : عجز المادح عن بيان ثناء
أنت الذي أثنى عليك الله في : سفر كريم كاشف الأشياء ١٥

ثم يذكر رؤيته النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وماذا حصل له في تلك المناسبة فيحكي أنه رأى في حديقته دكات صغيرة موضوعة وتجرى تحتها مياه صافية نقية ويتشرف على إحدى هذه الدكات نبينا صلى الله عليه وسلم - فداه أبي وأمي- وأمامه كثير من الرمانات وفي هذه الأثناء قال له أحد: انظر إلى محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم يشرف هناك فاقتربت قليلا وسلمت عليه بكل تقدير واحترام فأجاب صلى الله بتحية، وفجاءة نظرت إلى رأسه المبارك ، فكانت كل أشعاره مدورة لا بصغيرة ولا بطويلة تصل إلى أذنيه وكان وجهه يتلألأ فأردت أن أتقدم إلى الأمام إذ حالت موجة من الماء دوننا وانزلقت قدماي إلا أنني سيطرت على نفسي ومتوجهاً إلى القبلة جلست بالقرب من الدكة أمام النبي صلى الله عليه وسلم بكل أدب واحترام، ونهض صلى الله عليه وسلم من الدكة وقال شيئاً لم احفظه. وأعطاني رمانتين من الكومة الموضوعة أمامه فتسرعت للأخذ ولكن ماجرى فيما بعد لم أستطع من الحفظ بعد اليقظة، وكنت في حالة غبطة وسرور بالغ عندما استيقظت من النوم، وقد أتى العلامة صديق خان بتعبير هذه الرؤيا قائلا: إنها إشارة إلى زيارة الحرمين الشريفين ودعا إلى الله عز وجل أن يرزقه سبحانه وتعالى إقامة في بلد رسوله صلى الله عليه وسلم وشهادة في سبيله" وقد ذكر هذه البشرى المباركة في قالب شعري كما يلي:

رأيت رسول الله في النوم ليلة : وقد كنت مشتاقاً إليه متيما
فسلّمت تسليما كريما معطّراً : وصادفت رجعانا شريفاً معظّماً
وناولني رمانتين برأفة : وأولى نصيباً من عطاء متمماً ١٦

ويمضي قائلا: إنه كان يتيه ولا ملجأ ولا مأوى له فاستضاء بذكره قلبه وروحه ثم يعبر عن عواطفه الجياشة متضرعا ومبتهلا إليه :

أنت المغيث برحمة وكرامة : في غمة وغوائل وبلاء

١٥ نفس المصدر ص ٢٩
١٦ نفس المصدر ص ٢٧- ٣٥/ج٢.

ارحم فقيرا جاء بابك راجيا : أنت الضمين بحرمة الفقراء
أحسن إلى عبد بحبك لائذ : آوى إليك مخافة الأعداء
كن أنت للمحزون جارا جُنة : من هذه البلوى وذي اللأ واء
يا أيها الشمس الرفيع مكانه : ضاءت بنورك ساحة الترباء
المع علي عناية وعطوفة : وأنر حنادس مهجتي السوداء
ولك الشفاعة والمكانة في غد : ولأنت أكرم معشر الشفعاء
ورجاء عبدك من جنابك سيدي : نيل الشفاعة زبدة الآلاء
وعظيم رجوى أن تكون وسيلتي : في عفو زلاتي بيوم جزاء
وسواك ما لي في القيامة شافع : أنت المخلص لي من الباساء
لا زال مدحك باقيا بين الورى : من عبدك المصروف في الإطراء[17]

وفي نهاية القصيدة يهدي تحية تقدير واحترام إلى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ومن تبعهم إلى يوم الدين.

وتمتاز هذه القصيدة بلغتها الرائعة الحلوة إذ اختار صاحب القصيدة كلمات مناسبة لإظهار ما في قلبه كأنها درر متلألأة في سلسلة ذهبية وتدل هذه اللغة على مقدرته اللغوية التامة، وصح ما كتب رئيس تحرير مجلة الجوائب الأستاذ سليم فارس آفندي عن الأسلوب الرائع للعلامة صديق حسن خان فهو يقول : "يفوق في الفصاحة في اللغة العربية دون كثير من المولدين وغيرهم إذا سمعت لفظه العربي خيل إليك كأنه نشأ في بادية اليمن أو أدبته امرأة من عليا هوازن، حاز من اللفظ العربي مأنوسه وتجنب غواشي التعقيد واختار من الكلام أعلقه بالفؤاد وتبرأ من عبائر التقليد.[18]

وبهذه المناسبة يمكننا أن نطرح السؤال على العلامة صديق عن بعض الأشياء التي جاء بها في قصيدته في حين قال "أنت المغيث وارحم فقيرا وما إلى ذلك، وفي الحقيقة يستغرب الإنسان ويقول لنفسه انه كيف صدر من العلامة هذه الكلمات وهو كان من زعماء أهل الحديث واكبر المدافعين عن العقيدة السلفية وأشد مناصريها فكيف أتى بهذه الكلمات حيث يستغيث بعبد من عباد الله ويسترحم ويستغفر منه، ونرى مثل هذه الأشياء عند كثير

17 القصيدة العنبرية، من مآثر صديقي ج٢/ ص:٢٩
18 قرة الأعيان ومسرة الأذهان للسيد صديق حسن خان، ص : (٦).

من الشعراء الهنود والعرب، مثلا غلام علي آزاد البلكرامي وفيض الحسن السهارنبوري وغيرهما، ويمكن اعتبار هذه الكلمات من زلات قلمه وذلك لأن الشاعر الحقيقي الغارق في حب النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأحيان ينسى نفسه ومكانة المصطفى ويمد يده أمامه استرحاما منه واستغفارا منه، وهذا من طبيعة الشعر والحب الخالص، لكن هذا التعليل لا يتماشى مع العقيدة الإسلامية الخالصة الداعية إلى توحيد رب الكون في ذاته وصفاته ولايجوز الاستغفار والاستغاثة إلا به.

وخلاصة القول أن "القصيدة العنبرية في مدح خيرالبرية" من القصائد الرائعة التي قرضها العلماء الهنود وتنم عن ولع شديد لرؤية الأرض المقدسة وحب متفان في النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وايمان صادق بأنه الصادق المصدوق والشافع المشفع ولانجاة إلا في اتباعه فهو مصدق الأنبياء ورسالاتهم وكل الشرائع باطلة بعده، فهو الملجأ والمأوى لقلوب تائهة ونفوس ضالة. ولايسع لإنسان أن يصفه ويثني عليه بما هو أهله، فألف ألف تحية وسلام على فخر الكونين. ❖❖❖❖❖

المصادروالمراجع:

١) خان، سيد نورالحسن، : مآثر صديقي ج١- ٢، مطبع نول كشور، لكناؤ (الهند) عام ١٩٢٤م.
٢) خان، النواب سيد صديق حسن، : قرة الأعيان ومسرة الأذهان ، المطبعة الصديقية ، بهوبال، الهند.
٣) خان، النواب سيد صديق حسن، : نشوة السكران في صهباء تذكار الغزلان، المطبعة الصديقية ، بهوبال، الهند.
٤) مبارك، الدكتور زكي، : المدائح النبوية في الأدب العربي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.
٥) أعوان، انتشار شاكر، : عهد رسالت مين نعت، مجلس ترقي أدب، كلب رود، لاهور(باكستان) الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
٦) الندوي، عبدالله عباس، : مكتبه اسلام، ٣٧ كوئن رود، لكناؤ، الطبعة الأولى ١٩٧٥م.
٧) الندوي، الدكتور محمد صدرالحسن، :المدائح النبوية في الهند، الطبعة الأولى، مطبعة أوميه، مدينة أورنك آباد، ولاية مهاراشترا، الهند، ٢٠٠٧.
٨) ضيف، شوقي، : تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٢ .
٩) طيب، الدكتورعبيدالرحمن، : مساهمة النواب سيد صديق حسن خان في اللغة العربية وآدابها: دراسة تحليلية، بحث جامعي (لم يطبع بعد).
١٠) مجلة "البعث الاسلامي" الشهرية ، العدد٣، المجلد ٢٨. دارالعلوم لندوة العلماء بمدينة لكناؤ (الهند).

المفاهيم القرآنية
في قصائد المعلم عبد الحميد الفراهي

د. محمود حافظ عبد الرب مرزا
بروفيسور مساعد، قسم اللغة العربية والفارسية، جامعة الله آباد

أنجبت الهند علماء وأدباء برزوا في مختلف علوم الحياة. ومما لاشك فيه فإن اهتمام العلماء الهنود باللغة العربية نابع من ضرورة فهم القرآن الكريم والأحاديث النبوية العطِرة والإلمام الكامل بالعلوم الدينية، لأنه لم يكن هناك مفر من تعلم اللغة العربية لأجل اكتساب المعارف القرآنية والعلوم الإسلامية بشكل يسهل نشر العلوم الإسلامية والثقافة السمحة وغرسهما في أبناء البلاد، لكونها لغة الإعجاز القرآني والبيان النبوي. ومن خلال التعمق في العلوم الإسلامية تمكن العديد من أجلّةِ علماء الهند من إجادة اللغة العربية قراءة وكتابة وتحدثاً، فألفوا في شتى العلوم الإسلامية والأدبية، ناهيك عن الكتب التي ألفوها في النحو والنقد والبلاغة فضلاً عن اكتشاف مناهج جديدة ومبادئ قيمة، فتركوا آثاراً خالدة وذخائر ضخمة في مختلف العلوم والفنون

ومن أهم وأبرز العلماء الذين استطاعوا الإلمام بالعلوم الدينية بشتى أنواعها وتعلموا اللغة العربية وأجادوها إجادة تامة حتى أصبحوا قادرين على قرض أبيات شعرية كلما جاشت فيهم عواطف شديدة هو المعلم عبد الحميد الفراهي، مع أنه كان يتفادى الخوض في كافة الفنون الشعرية، ويأتي ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله مصداقاً لبراعة المعلم عبد الحميد الفراهي وتفوقه في مجال قرض الأشعار أيضاً حيث يقول:-

ولولا الشعر بالعلماء يُزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

كان رحمه الله تعالى آيةً من آيات الله في حدة الذهن، وكثرة الفضل،

وسعة العلم، ودماثة الخلق، وسداد الرأي، والزهد في الدنيا، والرغبة في طلب مرضاة الله[1]. وكان من أكبر علماء القرآن لأنه انغمس في دراسته وانكب على تحقيق مفرداته وأساليبه والكشف عن أسراره ورموزه، فكان القرآن الكريم المحور الرئيسي لجميع أعماله العلمية والأدبية، حيث اختار المعلم عبد الحميد الفراهي اللغة العربية للتعبير عن جميع خوالجه النفسيه وآرائه وأفكاره، فحاز بالفعل على مكانة رفيعة في تاريخ الدراسات القرآنية والعربية في مختلف أنحاء شبه القارة الهندية. ولكن من المؤسف، أن خَدَمات هذا المعلم لم تجد الاهتمام المنشود لها من قبل العرب بسبب قلة الاحتكاك المباشر بالعالم العربي آنذاك وعدم قيامنا، نحن أبناء البلاد، بعرض علومه وإبراز محاسن خدماته العلمية على الوجه المطلوب. وفي هذا الصدد، يقول الدكتور/ محمد يوسف الشرُّبجي: "من المؤسف أن يظل هذا العالم الكبير، مجهولاً في الأوساط الإسلامية إلى حد كبير، على الرغم من كتبه ومؤلَفاته التي نافت عن أربعين كتاباً في شتى العلوم والفنون، وخاصة منها الدراسات القرآنية، وكان يرى أن الآيات القرآنية تفسر بعضها بعضاً، فأعرض عن القَصَصِ وما أتى به المفسرون من الزخارف والعجائب، وألف كتابه في التفسير بناء على ذلك، وسمّاه نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"[2].

وبغض النظر عن خدماته القيمة في الدراسات القرآنية التي لا تكاد تُعد ولا تُحصى، كان المعلم عبد الحميد الفراهي من كبار أدباء اللغة العربية في الهند، فقد كانت له مساهمات جلية في شتى علوم اللغة، فكان عالماً ثائراً همُّ المسلمين همّه الأكبر، بارعاً في العلوم الإسلامية والأدب العربي والشعر الجاهلي، بشكل خاص، وله ديوان في الشعر العربي يمتاز أسلوبه بالبساطة وسهولة العبارة وعذوبة البيان والبعد التام عن التكلف والتصنع الذي كان يسود أيامه، وبذلك كان شعره جيد السبك،

---

١ مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٠، العدد الثاني٢٠٠٤م. ص ٤٥٩.

٢ مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٠، العدد الثاني ٢٠٠٤م. ص ٤٥٩.

رائق الأسلوب، بديع الخيال، قوي المنطق، يمتاز بقلة الحشو، وجزالة اللفظ، ورشاقة الأسلوب. وقد اعترف بفضله العديد من كبار العلماء الأفاضل واعتبروه شخصية فذة رفعت مستوى اللغة العربية ليصبح معجزة للثقافة العربية والدينية ويبقى خالداً في صفحات تاريخ القرآن والأدب[٣]. وأثنى عليه معاصروه كالشيخ أبي الأعلى المودودي، ورشيد رضا، والسيد أحمد وشبلي النعماني وغيرهم. يقول السيد سليمان الندوي:

"برع الفراهي في الآداب العربية وفاق أقرانه في الشعر والإنشاء، قرأ دواوين الجاهلية كلها وحل عقد معضلاتها وقنص شواردها، فكان يقرض الشعر على منوال الجاهليين ويكتب الرسائل على سبك بلغاء العرب وفصحهائهم"[٤].

كان المعلم عبد الحميد الفراهي من أبرز شعراء العربية في الهند، فاق أقرانه وأودع فنونه فقرض وأجاد وأبدع وترك لنا ديوان شعر في العربية يشتمل على قصائد غرّاء تتعلق بالحروب التي تلظت نارها بين الإيطاليين والأتراك وبما شبت من سعيرها على طرابلس والبلقان، وشملت قصائده المواعظ الحسنة والحكم البالغة أيضاً[٥]. ولكن كل من ينظر إلى ديوانه أو يعمق النظر فيه يتضح له أن أشعاره كلها تتجلى منها الأفكار القرآنية والتعاليم الإسلامية السمحة فنرى كثرة استخدامه للمفردات القرآنية، بحيث لا يكاد بيت إلا وفيه أحكام أو أفكار أو آيات أو مفردات قرآنية، ويشعر القارئ بأنه يعيش في جو قرآني. فقد كان المعلم عبد الحميد عالماً ومفسراً للقرآن، ولم يكن يتفاخر بقرض الأبيات والقصائد لأنه لم يقرضها على منوال غيره، بل كان شاعراً مطبوعاً، فإنه كلما وقع حادث أو حلّ أمر مؤسف بالأمة الإسلامية جاشت فيه قريحته الشعرية فنراه يقرض

---

٣ مجلة المجمع العلمي الهندي، عليكره، ج ١٧، ع ١- ٢، ص ٥٧.

٤ مكاتيب شبلي، سيد سليمان ندوي (مرتب)، مطبع معارف، أعظم كره، ١٩٧١م.

٥ ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية بسرائي مير، أعظم جره، الهند ص٦.

أشعاراً باللغة العربية والفارسية والأردوية في آن واحد[٦]. يقول الشيخ بدر الدين الإصلاحي: "كان المعلم عبد الحميد الفراهي أديباً بليغاً وشاعراً حكيماً، ولكنه مع ذلك لم يقرض إلا قليلاً، وذلك لأنه قد انقطع بحول الله وتوفيقه، من بداية شبابه إلى النظر في القرآن والتدبر فيه، حتى وجد منه ما تهدأ به العواطف وتطمئن به القلوب وتسكن إليه الأرواح، فبه سكنت فيه عوامل الشعر وهدأت، لكنه مع هذا إذ كان في نفسه شاعراً مطبوعاً، فإذا جاشت فيه عاطفة شديدة وهجمت عليه فهو إذن يقرض"[٧].

وكان أدبُ المعلم عبد الحميد الفراهي أدباً إسلامياً فقد سلك طريق القرآن في الأدب ولم يكن يسعى إلى أن يكون نثره متأثراً بالقرآن الكريم من جهة وأشعاره متأثرة بأشعار حافظ الشيرازي وعمر الخيام من جهة أخرى. يقول أحد الباحثين: إن من يقرأ ديوان شعره يشعر بأنه يقرأ ديوان الحماسة لأبي تمام وخاصة باب الحماسة وباب الأدب منه[٨]، ولم ينظم الأبيات إلا لتحقيق أهداف دينية ولأغراض نبيلة. وهكذا، كان المعلم عبدالحميد الفراهي شاعراً موهوباً وكان منذ طفولته ميالاً إلى الشعر والأدب وكان ينظم الأبيات الشعرية بفضل قريحته الشعرية إلا أنه لم يول اهتماماً بالغاً بالشعر نظراً لانشغاله بالقرآن الكريم وتفرغه له.

وكان المعلم عبد الحميد متأثراً بأسلوب القرآن إلى حد كبير جداً، فقد ظهرت في أشعاره أنواع مختلفة من المفاهيم القرآنية وبرزت هذه الميزة في شعره فأصبحت أكبر ميزة له. فنرى في ديوانه كثرة استخدام المفردات القرآنية، والأفكار القرآنية والآيات القرآنية وكأن الهدف منها هو التعبير عن الخوالج النفسية بالأسلوب القرآني، الأمر الذي يؤكد مدى تمكنه من اللغة العربية الفصحى وإجادته لها إجادة تامة.

وهنا نودُّ أن نلقي بعض الأمثلة لقصائده التي تتجلى فيها المفردات

---

[٦] مجلة المعارف، دسمبر ١٩٨٩م ص ٤٨.

[٧] ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية بسرائي مير، أعظم جره، الهند ص٥.

[٨] سيد عروج أحمد قادري، مجلة زندكي، نوفمبر ١٩٦٧م، ص٦٠.

القرآنية وتحمل بعضها في طيّاتها الأفكار والأصداء القرآنية فضلاً عن أن بعضها تتزين بالآيات القرآنية إلا أنها لا تختل بالأنظمة الشعرية بل يتضح منها مدى تمكن المعلم عبد الحيمد الفراهي من العربية وقدرته الفائقة على قرض الأشعار. يقول في قصيدة لدى ثوران الفتنة البلقانية[9]:

شبت على بلقان نار الحروب أشعلها بالبغي أهل الصليب
لم تبق في الآفاق أرض بها الإسلام إلا نالها من لهيب
يا كـــرد يا تاتار يا كابل يا كل من لله عبـــد منيب
فالآن يـــا إخوان ما بالكم قد مسكم من الجهـاد لغوب
ما بالكـــم لا تنفرون وقد حل على الإسلام يوم عصيب
يبلوكم الله ببأس العـدى فإن أمر الله يبلو القلـــوب
إن تصبـروا الله لا يخزكم فإن الله علينـــــا رقيب
يا قومنـا إن تصبروا يأتكم نصر من الله وفتح قـــريب

نرى في هذه القصيدة كثرة استخدام المفردات القرآنية، وكأنه قام بانتقائها ووضعها في قالب شعري، يمتاز ببساطة التعبير وقوة الإيقاع، وفي أسلوب سهل خفيف، يطمع السامع أن يأتي بمثله لكنه يعجز أن يقرض بمثله. وفي آخر بيت في هذه القصيدة نرى أنه قد وضع آية قرآنية في هذا القالب الشعري بطريقة يدل على أنه من الشعراء المطبوعين المجيدين الذين لا يقرضون إلا بفيض قريحتهم الشعرية.

ونرى أنه في قصيدة "في ذكر الملحمة الكبرى"[10] التي وصف فيها ما خلفته الحرب العالمية الأولى من أضرار جسيمة ودمار شامل في العالم وعواقبها الوخيمة، قد أتى بالمفردات القرآنية ووضعها في شعره حيث يقول:-

لقد حل بالروم شر شمـــر فنار الحـــروب بهم تستـعر
فهم حصب كالهشيـم اليبيس يصلونها زمراً فزمـر
فإن لم يتوبوا ولـــم يتقو يبطشهم بطشـــة المقـتدر

[9] ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية بسرائيمير، أعظم جره، الهند ص٢٤-٢٥.
[10] ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية بسرائيمير، أعظم جره، الهند ص١١-١٢.

كذا الروم لما طغوا في البلاد ويعثون في الأرض بحراً وبر
شديد المحال، شديد النكال حديد الفؤاد، حديد النظر
فدمرها وسبى أهلهـــا وما كان إلا كلمح البصر
ولما قضى النحب منها استمر غربـــاً فأضرم فيها السعر
فكر إلى الشرق فاستعجلت كتائب روس تولـــي الدبر

ونرى في قصيدة "في الرجوع إلى العقل"[11] كيف أنه يؤكد بأن بعد هذا الوقت العصيب سيأتي الفجر، وسينجلي الليل ويتبدد الظلام كأنه يشرح الآية القرآنية (إن مع العسر يسراً) يقول:-

سر مع العقل أينما سارا در مع الحق حيثما دارا
لا تُهوّلنّك ليلة عُكّرت إن بعـد الظلام أنوارا

ونرى المعلم عبد الحميد الفراهي، في قصيدة "في تطاول الطليان على طرابلس"[12] يحُث المسلمين على الاستعداد التام للقتال والتأهب له بجمع العُدّةِ والعَتَاد وكأنه يستنبط من الآية القرآنية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوا الله وعدوكم)[13]. فيقول:-

واستجمعـوا عدداً فما تجري السفين على اليبس
أعني المـراكب والمدا فـع والكتائب والحرس
وتعلموا حيـل الحـرو ب لتغلبو الخصم الشرس
فتأهـبوا وتألـبوا وتلببوا لـوغى ضرب
واستنصروا لله المهيـمن في العشي وفي الغلس
ولينصـرن الله من ينـصره، فليحتمس.

وعند ملاحظة قصيدة "في نور الحكمة والإيمان" يتبادر إلى ذهنك أنك تقرأ ترجمة لبعض آيات سورة النور، حيث يقول:-

فمثل الإيمان يلمـع في قلـب سليم للتقى راع

---

١١ ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية بسرائيمير، أعظم جره، الهند ص٣٥.
١٢ ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية بسرائيمير، أعظم جره، الهند ص١٥- ١٦.
١٣ سورة الأنفال، آية رقم: ٦٠.

مثل سراج في زجاج كمثل الكوكب الدري لماع
في وسط مشكوة ويوقد من زيتونة في خير أقطاع
من البلاد لا بشرقية ولا بغربية أصقاع
كاد يضيء زيتها قبل أن تمسه النار لا شماع
نور على نور ومن يهده الله له يهتد بإسراع

وفي قصيدة عنوانها "في غفلة الإنسان"[14] نرى أنه يسلك طريقاً قويماً امتثالاً لقوله تعالى:- (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)[15]، حيث يقول:-

أما للناس أحلام أهم في السكر نوام
وهم وراد حوض الموت أصرام فأصرام
فآباء وأبناء وأخوال وأعمام
فحبل الموت ممدود وحبل العيش أرمام
وهم باللهو واللذات مشغولون ما داموا

هذه هي بعض الأمثلة من أمثلة عديدة لأنه لا توجد في ديوان شعر المعلم عبد الحميد الفراهي، أبيات تخلو من مفردات قرآنية أو أفكار أو حكم قرآنية، فأبياته كلها زاخرة بقصائد تحمل المعاني والمطالب القرآنية وتقدم الأحكام والتعليمات الإلهية في طيّاتها لأن نمط أشعار المعلم الفراهي يفوق كافة الأنماط الأخرى فهي قصائد ذات معان ومغزى، فإنها بعيدة كل البعد عن كافة الأفكار التي لا تمت بأية صلة إلى التعاليم الإسلامية الحنيفية، لأن معظم الأشعار لدى أغلبية الشعراء تتضمن أفكاراً تخلو من مقاصد وأهداف التعاليم الإسلامية، لذا سلك المعلم الفراهي طريقاً تفادى تلك الشوائب واستطاع بفضل قريحته الشعرية أن ينظم أشعاراً ستظل خالدة في سماء الشعر العربي، ويا ليت الزمان يرى ويتأهب لتلقي أبيات شعرية مثل

---

[14] ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية بسرائيمير، أعظم جره، الهند ص١٠.

[15] سورة النحل، آية رقم: ١٢٥.

هـذه تظـل تـتلألأ في سمـاء الأدب العربـي والعـالمي بمفاهيمهـا وأفكارهـا ومحاسنها، وتكون لها آثار دينية وذكرى لكل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

المصادر والمراجع

بالعربيـــة:-

١. ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية بسرائيمير، أعظم جره، الهند.
٢. زبير أحمد الفاروقي: مساهمة علماء دار العلوم بديوبند في الأدب العربي، دار الفاروقي، نيودلهي، ١٩٩٥م.
٣. عبد الحق شجاعت علي: الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية منذ الاستقلال، نيودلهي، ١٩٨٩م.

بالأرديـــة:-

١. شرف الدين اصلاحي، ذكر فراهي، الدائرة الحميدية، ٢٠٠١م.
٢. عبيد الله فراهي (مرتب)، علامة حميد الدين فراهي، حيات وأفكار، الدائرة الحميدية، ١٩٩٣م.
٣. سيد سليمان الندوي (مرتب)، مكاتيب شبلي، مطبع معارف، أعظم كره، عام ١٩٧١م.

بالإنجليزية:-

١. F. U. Farooqi, Luknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during the 19th Century, New Delhi- 1999.
٢. ZUBAID AHMAD, Contribution of India to the Arabic Literature, Lahore, 1967.

المجـــلات:

١. مجلة المعارف، ديسمبر ١٩٨٩م.
٢. مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٠، العدد الثاني عام ٢٠٠٤م.
٣. مجلة المجمع العلمي الهندي، عليكره، المجلد ١٧، العدد ١- ٢. يونيو ١٩٩٥م.
٤. سيد عروج أحمد قادري، زندكي، نوفمبر ١٩٤٧م.
٥. علامة حميد الدين فراهي، حيات وأفكار، مقالات فراهي، سيمنار، أنجمن طلبه قديم، مدرسة الإصلاح، عام ١٩٩٢م.

النهي عن الاكتناز والشح والإسراف والأمر بالحجر

بقلم: الأستاذ أشرف شعبان ابو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

إن حبس المال عن التداول والكف عن الإنفاق في جميع أوجه الحياة الإنتاجية الاستهلاكية من شأنه أن يفسد التوازن المالي والتجاري والاقتصادي عامة ويفسد معه التوازن الاجتماعي ، (١) وبالفعل يعتبر الاكتنازعقبة أمام التنمية الاقتصادية في الدول النامية، فقدأبرزت دراسات بعض الخبراء في الأمم المتحدة أن نسبة الاكتناز في بعض الدول النامية تصل إلى حوالي ١٠٪ من الدخل القومي وبصفة خاصة في دول جنوب شرق آسيا ودول الشرق الأوسط ، (٢) إذ أن اقتطاع هذا الجزء واكتنازه إما في صورة نقود أو مصروفات أو أي من السلع والصور الأخرى للا كتناز يحرم التنمية من دفعة مالية تنشطها ، وقد توعد المولى عزوجل المكتنزين في قوله تعالى في سورة التوبة الآيات ٣٣- ٣٥ : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) .

فيجب ألا تصبح مسألة الكنز شخصية أو فردية يترك حسابها إلى الله في الآخرة يوم تكوى الجباه والجنوب والظهور، بل يجب أن تصبح مسألة تشريعية تطالب الدولة بمنعها عن طريق التشريع وعن طريق التنفيذ ، وقد احتج بعض من أهل الدين ذات يوم بالقول بأن ما أديت زكاته ليس بكنز للتدليل على أن حق المال هو الزكاة وحدها ، وأن لا حرج في الكنز بعد ذلك ، ولكن هناك حديثاً صريحاً يبين حدود الكنز ويبين فيما يحتفظ بالباقي بعد الزكاة حتى لا يكون كنزاً ، ذلك قوله عليه الصلاة السلام: (من جمع دينارا أو درهما أو تبراً أو فضة ولا يعده لغريم ولا ينفقه في سبيل الله فهو كنز يكوى به يوم القيامة) ، (٣) وذهب البعض ومنهم سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : ما كنز من المال فهو كنز ، وإن أديت زكاته ، وبناء على هذا الرأي فإن المال يجب أن ينفق في سبيل الله

أو يوضع في المشاريع الاقتصادية ليخرج عن كونه كنزاً ، (٤) وعن أبي سعيد الخدري عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : (من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) إلى آخر الحديث ، يقول أبو سعيد فذكر رسول الله صلي الله عليه وسلم أصنافاً من المال غير الظهر والزاد حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا في فضل وأن الظهر والزاد لم تذكر على سبيل الحصر وانما ذكرت على سبيل المثال كما هو معلوم ، ويحرم الادخار أيام الشدائد والأزمات التي تتعرض لها الأمة ، وقد وصل الأمر ببعض الصحابة إلى القول بتحريم الادخار دائما وتحديد الكنز بأنه ما زاد عن حاجة يومك في كل الأوقات ، (٥) ومن الآثار السلبية للاكتناز : انتشار الربا وما يحدثه من أزمات اقتصادية ، وقد ظهرت في فترات تاريخية متباعدة محاولات متفرقة للقضاء على ظاهرة الاكتناز والاقتراض الربوي ، وقد أتت بنتائج جيدة ولكن سرعان ما أجهضت هذه المحاولات ، ومن الطبيعي أن يحارب مثل هذا النظام الذي يقضي على الفائدة الربوية وعلى طبقة المرابين التي تعمل على تجميع المال واكتنازها بهدف الحصول على أعلى فائدة (٦) :

النهي عن الشح:

قال تعالى : (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) سورة الحشر الآية/٩، وقال تعالى : (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) سورة آل عمران الآية ١٨٠ ، وقال عليه الصلاة والسلام : ثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ، وقال : (اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذبك من الجبن وأعوذبك من أن أرد إلى أرذل العمر) وقال كعب : ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان : اللهم عجل لممسك تلفاً وعجل لمنفق خلفاً ، وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : (إياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) (٧) وقوله (فانه أهلك من كان قبلكم) يحتمل أنه يقصد الهلاك الدنيوي والمسبب له هو شحهم على حفظ المال وجمعه وازدياده وصيانته عن ذهابه في النفقات ، فضموا إليه مال الغير صيانة له ولا يدرك

مال الغير إلا بالحرب والعصبية المفضية إلى القتل واستحلال المحارم أوغيرها من الطرق الغير الشرعية التي تملأ القلوب بالبغضاء والكراهية ، يحتمل أن يقصد به الهلاك الأخروي فانه ينتج عما اقترفوه من ارتكاب هذه المظالم، والظاهر حمله على الأمرين ، (٨) والمال إن كان غير متوافر فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وإن كان متوافراً فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل ، فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، قال عبدالله بن عمرو: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : (خلقان يحبهما الله عزوجل وخلقان يبغضهما الله عزوجل ، فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء، وأما اللذان يبغضهما فسوء الخلق والبخل ، وإذا أراد بعبد خيراً استعمله في قضاء حوائج الناس) (٩) .

ويقص لنا القرآن الكريم جزاء من بخل بماله عن إعطاء الفقراء والمساكين حقهم فيه ، ففي سورة القلم يقص علينا قصة أصحاب الجنة الذين تواعدوا أن يقطفوا ثمارها بليل ليحرموا منها المساكين الذين اعتادوا أن يصيبوا شيئا من خيرها يوم الحصاد فحلت بهم عقوبة الله العاجلة ، قال جل شأنه : (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ، فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ، أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ، فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ، أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ، وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ، قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ، قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ، عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ، كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، سورة القلم الآيات ١٩- ٣٣ (١٠) والذين يسهرون على جمع المال ولايمضون وقتاً إلا في إنمائه وزيادته لا يعرفون في الدنيا مفرحاً أو محزناً إلا في حساباتهم ومدخراتهم في البنوك ، فهؤلاء قال فيهم عليه الصلاة والسلام: (تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة، إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض) أخرجه البخاري، أراد بعبد الدينار والدرهم من استعبدته الدنيا بطلبها وصار كالعبد لها تتصرف فيه تصرف المالك لينالها وينغمس في شهواتها ومطالبها ، وذكر الدينار والقطيفة مجرد

أمثال ، وإلا فكل من استعبدته الدنيا في أي أمر وشغلته عما أمر الله تعالى وجعل رضاه وسخطه متعلقا بنيل ما يريد أو عدم نيله فهو عبده ، (١١) وفي الشح والتفرقة بينه وبين البخل أقوال ، منها : أن الشح أشد من البخل وأبلغ في المنع من البخل ، وقيل : هو البخل مع الحرص ، وقيل : البخل في بعض الأمور والشح عام ، وقيل : البخل بالمال خاصة والشح بالمال والمعروف ، وقيل: الشح الحرص على ما ليس عنده والبخل بما عنده والبخل داء له دواء، وداء البخل سببه أمران : الأول حب الشهوات التي لا يتوصل إليها إلا بالمال وطول الأمل ، والثاني حب ذات المال والشغف به وببقائه لديه . وعلاج حب الشهوات القناعة باليسير وبالصبر ، أما علاج طول الأمل فبالإكثار من ذكر الموت وذكر موت الأقران والنظر في ذكر طول تعبهم في جمع المال ثم ضياعه بعدهم وعدم نفعه لهم .

وقد يشح بالمال شفقة على من بعده من الأولاد ، وعلاج هذا أن يعلم أن الله هوالذي خلقهم ، فهو رازقهم ، وينظر في نفسه فإنه ربما لم يخلف له أبوه فلساً ، ثم ينظر ما أعده الله عزوجل لمن ترك الشح وبذل من ماله في مرضاة الله ، وينظر في الآيات القرآنية الحاثة على الجود ، المانعة عن البخل، ثم ينظر في عواقب البخل في الدنيا ، فانه لابد لجامع المال من آفات تخرجه على رغم أنفه ، فالسخاء خير كله ما لم يجره إلى حد الإسراف المنهي عنه ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) سورة الفرقان الآية/ ٦٧، فخيار الأمور أوسطها ، لا إسراف ولاتقتير ، و لكن وسط بين ذاك وذلك ، كل على حسب حالته ، وخلاصته: على من وجد عنده فضل مال أنفقه في وجوه المعروف بالتي هي أحسن ، ويكون بما عندالله أوثق منه بما هو لديه ، ومن لم يكن لديه مال لزم القناعة ، (١٢) ويقف المسلم بين الإسراف والإقتار في حدود سعته المالية ، وذلك عملا بقوله تعالى (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)سورة الطلاق الآية ٧- (١٣)

النهي عن الإسراف :

يلفت القرآن الكريم النظر إلى أن حرية التملك التي أباحها الإسلام

للفرد مقيدة بعدم الطغيان وعدم الإفساد وعدم الإسراف ، قال تعالى : (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ) سورة طه الآية ٨١- وقال : (كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) سورة البقرة الآية ٦٠- وقال (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ،) سورة الأعراف الآية ٣١- .

وقد أشارت إلى ذلك الأحاديث النبوية ، منها (كلوا واشربوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة)(١٤) فليس للإنسان أن يسرف في طعامه أو شرابه أو لباسه وأمور معيشته ولا يجوز له أيضا أن يقتر على نفسه ومن يعولهم ، وعليه أن يتوسط بين الأمرين وأن لا يتجاوز حدود الاعتدال ، فقد حرم الله السرف وبسط اليد في المال كما حرم التقتير وقبض اليد عن النفس بما هي محتاجة إليه ، قال تعالى : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) سورة الاسراء الآية ٢٩- (١٥) ولا خير في مؤمن قد جعل كل همه ومتعته ومقصده في حياته الدنيا ملء بطنه ، بما يمكنه الحصول عليه من طعام ، حتى ينفق في سبيل ذلك كل ماله وكسبه ، وما أصدق قول رسول الله عليه الصلاة والسلام في وجوب الاعتدال في الطعام إذ يقول : (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع)(١٦) وقال (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) (١٧) وقالت عائشة رضي الله عنها : أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها : الشبع ، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم (١٨) وأخرج البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : رآني رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد أكلت في اليوم مرتين فقال : (يا عائشة ! أما تحبين أن يكون لك شغل إلا جوفك ؟ (الأكل في اليوم مرتين من الإسراف ، والله لايحب المسرفين) وعند ابن الأعرابي عن عائشة رضي الله عنها قالت: جلست عند رسول الله صلي عليه وسلم فقال (ما يبكيك ؟ إن كنت تريدين اللحوق بي فليكفك من الدنيا مثل زاد الراكب ولا تخالطين الأغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه) وأخرج الطبراني عن جعدة رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى رجلا عظيم البطن فقال بإصبعه في بطنه : (لوكان هذا في غير هذا لكان خيراً لك) وعن ابن عمر رضي

الله عنهما أن عمر رأى في يد جابر بن عبدالله رضي الله عنه درهما فقال : ما هذا الدرهم ؟ قال: أريد أن أشتري لأهلي به لحماً قرموا إليه فقال : أكلما اشتهيتم شيئاً اشتريتموه ؟ أين تذهب عنكم هذه الآية (أذهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا) سورة الأحقاف الآية (٢٠) دخل عمر على ابنه عبدالله رضي الله عنهما وأن عنده لحما فقال : ما هذا اللحم ؟ قال : اشتهيته قال : وكلما اشتهيت شيئا أكلته ؟ كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهاه (١٩) : وإذا كان رسول الله عليه الصلاة السلام اعتبر الأكل مرتين في اليو م إسرافاً وسيدنا عمر رضي الله عنه اعتبر أكل كل ما يشتهي إسرافاً فما رأيهما فيما يلي : نشرت الصحف الفرنسية في صدر صفحتها الأولى قصة عربي مسلم خسر في ليلة واحدة خمسة وثمانين مليونا من الفرنكات على مائدة القمار ، وتقول الصحيفة : إن هذا العربي المسلم لم يكتف بهذه الخسارة بل قدم بقشيشا مقداره خمسة ملايين أخرى إلى الفتيات اللاتي كن في خدمته طوال هذه السهرة .

وقد حدث في لندن منذ سنوات أن عربيا ركب سيارته الرولز وأخذ ينتقل بها من حي إلى آخر ، وكلما مر على مجموعة من الناس ألقي عليهم من نافذة سيارته بألوف الجنيهات وبدلاً أن تمطر سماء لندن كما هي العادة برداً وثلجاً فوجئ الناس بهذه السماء وهي تمطر عليهم ذهبا ، إن عدد القصور التي اشتريت أو بيعت إلى عرب في أنحاء بريطانيا ، هذه القصور المغلقة والتي لايسكنها أحد إلا لأسبوع أكثر أو أقل ، تجاوزت قيمتها كما تقول إحدى الصحف : ميزانية أكبر دولة في أفريقيا ، والعجيب أن لأصحاب هذه القصور قصوراً أخرى في أي مكان تصل إليه طائرة أو يصل إلى شاطئه يخت أو باخرة ، إن مزرعة خيول السباق في بريطانيا ببلايين الدولارات وأصحابها عرب، عربي مسلم دفع مهرا لامرأة مائة وخمسين مليون دولار واشترى لها سبع سيارات من أسواق مختلفة لكل يوم من أيام الأسبوع سيارة، بالإضافة إلى طائرة تنتظر كلمة منها أو إشارة . رجل يتزوج من ممثلة ويجهز شقتها باثنين وعشرين مليون جنيه ويضع تحت تصرفها ست سيارات من كل جنس ولون . عربي ذهب إلى عاصمة أوربية في طائرة خاصة "جامبوجت" كانت الطائرة كلها مشحونة بالخدم والحشم ومئات الحقائب

وعشرات المرافقين . رجل ذهب إلى أحد مسارح باريس وأراد المسرح خالياً من المتفرجين لمزاجه الخاص فدفع ثمن مئات التذاكر مضاعفاً ليخلو له الجو مع الممثلات والممثلين ، وفي لندن ذهب واحد من هؤلاء إلى محل مشهور كبير بعد أن أغلق فطلب من المدير أن يفتحه واشترى في وقت قصير ضعف ما باعه المحل في اليوم كله ، ولكن بثمن مضاعف وبأجر مماثل للموظفين الذين استدعوا من بيوتهم في يوم بارد وعاصف(٢٠) وغيرها من أوجه السرف كثير وكثير يخجل المسلم الحق عن روايتها وكتابتها ، عموما ، فإن الإسراف والإقتار يؤدي كل منهما إلى أضرار اقتصادية واجتماعية بالإضافة إلى الأضرار الصحية والنفسية التي تصيب المسرف والمترف ومن حولهما ، فضلا عن حرمانه حق غيره فيما رزقه الله .

ومن هذه الأضرار الاقتصادية حدوث التضخم وما يتبعه من غلاء الأسعار وحدوث التفاوت في الدخول تضرر أصحاب الدخول المنخفضة ، أما في حالة الإقتار فيؤدي إلى حدوث الكساد وما يستتبعه من هبوط الإنتاج والاستغناء عن العمالة وحدوث البطالة ، أما الأضرار الاجتماعية فإن المترفين لا يستجيبون لدعاوي الإصلاح بل يعارضونها ويقاومونها ، ولذلك فهم يناوؤن رسالات الأنبياء ويكذبون بها ، ويؤدي الإفساد والصد عن دعاوي الإصلاح وتكذيب الأنبياء إلى هلاك البلاد في الدنيا والعذاب في الآخرة ، وتوضح لنا ذلك الآية الكريمة ، قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)سورة سبأ الآية ٣٤ ٢١- ٢٥ ٢٣- ٢٤- ٢٥ (٢١) كما حكى لنا القرآن أخبار من ذهبت ريحهم قبلنا ، وعلل هلاكهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة بأنهم (كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ) سورة الواقعة الآية/٤٥ . وقال تعالى عنهم (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) سورة هود الآية/ ١١٦ (٢٢) ، والمترفون كانوا على مدار التاريخ من أسباب وعلامات انهيار وهلاك المجتمعات والشعوب ، قال تعالى (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) سورة الإسراء الآية /١٦ (٢٣) ، هذا والترف لايقوم إلا على حساب الشظف في فريق كبير من أبناء الأمة فمن دماء الجماهير وجهودها ومن ضرورياتها وحاجاتها يستمد هذا النفر المترف لذاته وكمالياته (٢٤) ، ولما كان وجود فوائض المال في أيدي المترفين دافعاً لإنفاقها على موائد الخمر والميسر

ومضاجع البغايا أوجب الإسلام أن تحد الدولة من إسرافهم وتهذب من سفههم وتقيد من طفواهم وترد من فضول أموالهم على الفقراء والمحرومين والأيتام بدلاً من مصارفها تلك الخبيثة الحرام (٢٥) ، حيث مبدأ سد الذرائع يتدخل هنا ويفرض علي الدولة أن تنزع من أيدي المترفين سلاحهم في الفساد والإفساد ، فمبدأ سد الذرائع هو مبدأ الوقاية من الاحتمالات المنتظرة : وهو الذي يحرم الوسيلة إذا كانت تؤدى إلى غاية محرمة ولو كانت هذه الوسيلة بذاتها غير محرمة ، ووجود المال الفائض في أيدي هؤلاء هو الوسيلة التي يجب منعها اتقاء للعاقبة (٢٦) .

الحجر علي السفيه:

الحجر في اللغة : التضييق والمنع ، ومعناه في الشرع : منع الإنسان من التصرف في ماله ، والحجر ينقسم قسمين ، الأول : الحجر لحق الغير مثل الحجر على المفلس فانه يمنع من التصرف في ماله محافظة على حقوق الغرماء ، فقد حجر الرسول عليه الصلاة والسلام على معاذ وباع ماله في دينه ، فمن له مال ولكنه لا يفي بديونه فانه يجب على الحاكم أن يحجر عليه متى طلب الغرماء أو بعضهم ذلك منه حتى لايضرهم، وله أن يبيع ماله إذا امتنع عن بيعه ويقع بيعه صحيحاً لأنه يقوم مقامه، الثاني : الحجر لحفظ النفس مثل الحجر على الصغير والسفيه والمجنون ، فإن في الحجر على هؤلاء مصلحة تعود عليهم . ويحجر علي السفيه البالغ لسفهه وسوء تصرفه ، قال تعالى : (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) سورة النساء الآية ٥ ، دلت الآية على جواز الحجر على السفيه . قال ابن المنذر : أكثر علماء الأنصار يرون الحجر على كل مضيع لماله صغيراً كان أم كبيراً . وفي نيل الأوطار: والسفه المقتضى للحجر ، هو صرف المال في الفسق أو فيما لامصلحة فيه ولافرض ديني و لادنيوي ، وكشراء ما يساوي درهماً بمائة (٢٧) ، الحنفية قالوا : يعرف السفيه هو الذي لايحسن إدارة ماله فينفقه فيما لا يحل وفي البطالة ويعمل فيه بالتبذير والإسراف .

ومن الإسراف الموجب للحجر دفع المال إلى المغنين واللعابين وشراء الحمام والديكة ونحو هما بثمن غال ، وصرف الأموال في المقامرة ، وغير ذلك من الانفاق في غير ما يقتضيه العقل والشرع ، وكذلك إذا أنفق ماله

كله في عمل من أعمال الخير كبناء مدرسة أو مسجد أو غيرهما فانه يعد سفيها ويحجر عليه ، لأن الله تعالى إنما كلف الانسان بعمل الخير إذا كانت حالته المادية تسمح بذلك بحيث لاينفق ماله ويفلس من أجل الخير المالكية ، قالوا : السفه هو التبذير وعدم حسن التصرف في المال فمتى اتصف الشخص بذلك سواء كان ذكراً أو أنثى فإنه يكون مستحقاً عليه، الشافعية قالوا : السفيه هو المبذر في ماله وهو الذي ينفقه فيما لايعود عليه بمنفعة عاجلة أو آجلة كأن يقامر أو ينفقه في اللذات المحرمة الضارة بالبدن والعرض والدين ، كالزنا وشرب الخمر ، أو ينفقه في المكروهات كأن يشرب به الدخان أو يضيعه بسوء تصرفه كأن يبيع ويشتري بالغبن الفاحش إذا كان لايعلم به ، أما إذا تساهل في بيعه وشرائه وهو عالم فان ذلك لايعد بسفه لأنه يكون من باب الصدقة ، وكذلك إذا أنفق ماله في وجوه البر والخير كبناء المساجد والمدارس والمصحات والتصدق علي الفقراء والمساكين فانه لايكون بذلك سفيهاً ، بل لوأنفق ماله في اللذات المباحة كالملبس والمشرب والمأكل ، ولوتوسع في ذلك بما لا يناسب حاله ، فإنه لايعد سفيهاً .

مثل ذلك ما إذا أنفقه في التزوج ونحوه من كل متاع حلال فانه يكون قد أنفقه في مصرفه لأن المال خلق لينفق في الخير وفي الاستمتاع بما أحله الله ، الحنابلة قالوا : السفيه هو الذي لايحسن التصرف في ماله فإذا كان الشخص البالغ سفيهاً لا يحسن التصرف فان الحجر عليه يكون من حق الحاكم (٢٨) ، والرأي الأكيد من كل ما سبق أن الإسلام شرع الحجر علي التملك الفردي إذا أنفق المال المملوك في الفساد والانحلال واستعمل في الخمر والزنا والقمار والجري وراء الشهوات والملذات علي النحو الذي ذكرناه سالفاً ، والأصل في ذلك قوله تعالى (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا)سورة النساء الآية ٥ ، وفي تعبير القرآن (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ) إشارة إلى أن الانتفاع بهذا المال هو من مصلحة المجتمع ، ففي حالة السفه يجب أن يمنع عن صاحبه ، ويستغل لما فيه نفع المجتمع ، ولايجوز دفعه له إلا إذا آنسنا منه رشدا أو بارقة من صلاح (٢٩) فلا يعقل أن

تضيع أموال المسلمين بهذا العبث بينما هناك من يموتون من الجوع والمرض لايجدون بضعة قروش لسد جوعهم وعلاج أمراضهم .

المراجع

(١) السلام العالمي والإسلام : سيد قطب ص/١٥٣- ١٥٥
(٢) تنمية المال في الاقتصاد الإسلامي ، د/ أميرة عبداللطيف مشهور ص/٦٨- ٧١
(٣) السلام العالمي والإسلام ، سيدقطب ص/١٥٣- ١٥٥
(٤) التكافل الاجتماعي في الإسلام ، عبدالله ناصح علوان ص/٤٤
(٥) الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، د. نبيل صبحي الطويل ص/١٣
(٦) تنمية المال في الاقتصاد الإسلامي ، د/أميرة عبداللطيف مشهور ص/٦٨- ٧١
(٧) إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ج٣ ص/٢٣٧- ٢٤٠
(٨) سبل الإسلام ، الصنعاني ج٤ ص/١٨٤- ١٨٥
(٩) إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ج٣ ص/٢٢٨
(١٠) مشكلة الفقر وكيف عالجهاالاسلام ، يوسف القرضاوي ص/١١٢
(١١) سبل السلام ، الصنعاني ج٤ ص/١٧٤
(١٢) نفس المصدر
(١٣) الإطار الأخلاقي لمالية المسلم ، قطب إبراهيم محمد ص/٢٢١- ٢٢٥
(١٤) دين ودولة ، أحمد محمد جمال ص/٣٣٣- ٣٣٤
(١٥) المال والحكم في الاسلام ، عبدالقادر عوده ص/٣٧
(١٦) القرآن الكريم والسلوك الإنساني ، محمد بهائي سليم ص/١٥٠- ١٥٢
(١٧) الإطار الأخلاقي لمالية المسلم ، قطب إبراهيم محمد ص/٢٢١- ٢٢٥
(١٨) الإبداع في مضار الابتداع ، علي محفوظ ص/٧١
(١٩) حياة الصحابة ، محمد يوسف الكاندهلوي ج٢ص/٢٨٢- ٢٨٤
(٢٠) عرب ومسلمون للبيع ، عبدالودود شلبي ص/٥٠- ٥١
(٢١) الإطار الأخلاقي لمالية المسلم ، قطب ابراهيم محمد ص/٢٢١- ٢٢٥
(٢٢) دين ودولة ، أحمد محمد جمال ص/٣٣٣- ٣٣٤
(٢٣) العدالة الاجتماعية في الاسلام ، سيدقطب ص/١٤٥- ١٤٩
(٢٤) السلام العالمي والإسلام ، سيدقطب ص/١٥٢- ١٥٣
(٢٥) دين ودولة ، أحمد محمد جمال ص/٣٣٣- ٣٣٤
(٢٦) السلام العالمي والإسلام ، سيدقطب ص/١٥٢- ١٥٣
(٢٧) فقه السنة ، السيد سابق ج٣ ص/٥٦٦- ٥٨٢
(٢٨) الفقه على المذاهب الأربعة ، عبدالرحمن الجزيري ص/٣٦٧- ٣٧١
(٢٩) التكافل الاجتماعي في الاسلام ، عبدالله ناصح علوان ص/٣٠

ملاحظات على كتاب المقدمة في فقه العصر

فضيلة الشيخ الدكتور بدر الحسن القاسمي
نائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي بالهند،
عضو الهيئة الاستشارية لمركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

كتاب جديد لمؤلف يمني معاصر لم أعرفه من قبل ولم أطلع على كتاب أو بحث منشور له سابقاً، ويكاد اسمه نكرة بين الباحثين المعاصرين في القضايا الفقهية المعاصرة وهو الدكتور فضل عبد الله مراد، ولا يضيره أن لا يكون معروفاً إذا كان فهمه سليماً، وعلمه دقيقاً، وأسلوبه قوياً رصيناً.

لقد استبشرت خيراً حينما رأيت الكتاب أولا وقرأت ما قيل عن المؤلف من كلمات الإشادة والتقريظ من قبل بعض المشاهير، ثم استوحشت قليلا حينما رأيت أن صاحبنا مؤلف الكتاب ليس من طراز عادي بل إن له دعاوي عريضة وأنه بدأ عمله معتدا بنفسه، مزهوّا بعلمه، مؤمنا ببلوغه رتبة "المجتهد المطلق" في صف الأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، بل وربما بوصوله فوق درجتهم، معلناً أنه لا يقلّد أحداً، مطبقاً ما فهم من وصيتهم حيث يقول بوضوح:

"وقد التزمت في كتابي هذا الزام الأئمة الأربعة ونصيحتهم وتوصيتهم لي ولنا جميعا: وهي أن لا نقلدهم بل نأخذ من حيث أخذوا"

من غير أن ينتبه أن نصيحتهم – بشرط ثبوتها نصاً وصحة نسبة قولها إليهم – إنما كانت موجهة لأمثال أبي يوسف ومحمد، وابن القاسم، والمزني، وإسحاق بن راهويه ومن كانوا على درجتهم من العلم والاتقان، ثم إنهم لم يأخذوا من المصحف المطبوع طباعة فاخرة، ونسخة مصححة مزخرفة من سنن أبي داود، بل جلس أبو حنيفة نحو عشرين عاما في حلقة حماد بن أبي سليمان وهو أخذ عن إبراهيم النخعي، وأخذ

من علم جعفر الصادق، وعطاء وأضرابهم من التابعين، وتشبع مالك من علم ربيعة الرأي وفقهاء المدينة ولم يجلس للإفتاء حتى شهد له نحو سبعين إماماً من علماء المدينة بالفضل والإمامة وأهلية الإفتاء، وهكذا شأن محمد بن إدريس الشافعي أخذ فقه مالك ثم سافر إلى العراق واستفاد من محمد بن الحسن الشيباني، وبرز ابن حنبل في جمع السنن والفقاهة في الدين والنباهة بين المسلمين مع ذلك لم يدع أنه لا يقلد أحدا سبقه من الأئمة ويتجنب ما فهموه واستنبطوه من الأحكام "وإنما يأخذ من حيث أخذوا" بل اختار و رجح كل منهم من أقوال ومذاهب من سبقه من السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين وغيرهم، لأن أصل هذا الدين منقول ومتوارث عن السلف الأقدمين مع كون باب الاستنباط مفتوحاً على ذوي الكفاءة من اللاحقين.

إن ما نراه لدى المؤلف من نزعة استعلائية شبيهة بالحالة النفسية التي يصاب بها بعض من يتميز في حفظ السنن والمسانيد دون التمكن من أدوات الاجتهاد ومعرفة مدارك الفقهاء، وصدق من قال: رُبّ حامل فقه غير فقيه، ورُبّ مبلّغ أوعى من سامع، فليس كل من يحفظ آيات الذكر الحكيم وكافة الأحاديث المنقولة في كتب السنن والمصنفات والمسانيد قادراً على فهمها واستنباط الأحكام منها على غرار الأئمة الأعلام من المجتهدين.

ولا يعني ذلك أن أحداً لن يصل إلى درجة الاجتهاد المطلق بل نرى إمكان ذلك، ولا ننكر وقوعه إذا توافرت شروطه في سابق أو لاحق كما يقول شارح مسلم الثبوت من علماء الأحناف: لكن الاجتهاد يتطلب مؤهلات خاصة، وأن باب الاجتهاد مفتوح لأهله ومغلق بإحكام أمام من لا يملك القدرة على ولوجه".

وكان الأحرى بالمؤلف أن يحذو على أقل تقدير حذو الشيخ القرضاوي الذي يصفه "بالإمام" أو الزنداني الذي يصفه "بالمجدد" أو الشيخ "العمراني" الذي يصفه "بالمجتهد المطلق" حيث إنهم ملأوا الدنيا علماً وإنتاجاً، وليس لأحد منهم دعاوي بأنهم لا يبالون بالأئمة السابقين ويجتهدون بأنفسهم في كل صغيرة وكبيرة، وأمامهم "المصحف المنزّل" و"كتب السنن والمسانيد" وإن كان لبعض منهم آراء شاذة في بعض الفروع الفقهية وشطحات في تأصيل بعض المفاهيم، وكما أن لهم

تراجعات من بعض الأفكار الخاطئة، ويعتبر ذلك من حسناتهم، جزاهم الله خيرا عما أصابوا، ويغفر لهم ما أخطأوا فيه.

إن من محاسن أفكار المؤلف زيادته في مقاصد الشريعة الخمسة مقصداً سادساً وهو مقصد "المحافظة على الجماعة".

لكن هل يمكن أن تتكون "الجماعة" وكل فرد منها يتفرد برأيه ويتضارب في اجتهاداته، وينقض مابناه الأوّلون ؟ وما استنبطوه من نصوص الكتاب والسنة ؟

ثم ما فائدة تأليف مثل هذا الكتاب المبتكر إذا كان مثلي من طلبة العلم عليه أن لا يقلد الشيخ فضل مراد فيما ذهب إليه باجتهاده وهداه إليه استنباطه، بل يأخذ من حيث أخذ فقد يؤدي اجتهادي إلى ما ذهب إليه، وقد يؤدي إلى غير ما ذهب إليه، وتعيش الأمة في دوامة الاختلاف والتناقض والتباعد والتناحر؟!

إذا كانت القضايا الفقهية الدقيقة لا تحتاج إلى من نستأنس بفهمه واستنباطه فالقضايا السياسية والاجتماعية العامة أولى بأن لا يتبع فيها أحد أحداً، ويأخذ كل واحد وجهته، ومن عجائب التناقض عند المؤلف أنه لا يرى تعليل الأحكام وينتهج منهج الظاهرية في الالتزام الحرفي للنص في معظم اجتهاداته، ثم يربط كثيرا من أحكام الحلال والحرام بمقاصد الشريعة والمصالح العامة، مع أن الأصوليين أجمعوا على أن "الحكم يدور مع علته لامع حكمته"، وأن الحِكَم والمقاصد من الأمور المستنبطة غير المنضبطة، فما أعتبره مصلحة قد يراه غيري مفسدة ومضرة.

ويسرف المؤلف في استخدام "الأصل في الأشياء الإباحة" مع أنه ليس أصلا متفقاً عليه بين الفقهاء والأصوليين ولا هي من القواعد الفقهية الثابتة التي تجعل أساساً في بيان الحلال والحرام، فقد قيل: الأصل في الأبضاع التحريم، وقيل غير ذلك.

يقتصر استدلال المؤلف عموما على الآيات القرآنية، والثابت لديه من الأحاديث وهو يعرف جيداً أن النصوص حمّالة أوجه، وقد اختلف فهم الصحابة والتابعين ووقع الخلاف في فهم النصوص والنبي صلى الله عليه وسلم بينهم ولم يرجح فهم أحد على غيره، كما هو واضح في قصة صلاة

العصر في بني قريظة، واعتبر ذلك سعة في الدين وتيسيرا على المسلمين، ولا خير فيمن ليس له إمام من السالفين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

كل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين ولم يسبقه إليه أحد منهم فإنه يكون خطأ، كما قال الإمام أحمد بن حنبل: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام(١).

ويقول الإمام الذهبي في ترجمة عبد العزيز بن عبد الله الداركي شيخ الشافعية بالعراق بعد ما يصفه بالإمام الكبير نقلا عن ابن خلكان:

وربما أفتى على خلاف مذهب الإمامين الشافعي وأبي حنيفة فيقال له في ذلك، فيقول: ويحكم حدث فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة.

يقول الإمام الذهبي:

قلت: هذا جيد لكن بشرط أن يكون قد قال بذلك الحديث إمام من نظراء هذين الإمامين مثل مالك أو سفيان أو الأوزاعي وبأن يكون الحديث ثابتاً سالماً من علة وبأن لا يكون حجة أبي حنيفة والشافعي حديثاً صحيحاً معارضاً للآخر.

أما من أخذ بحديث صحيح وقد تنكبه سائر أئمة الاجتهاد، فلا، كخبر: "فان شرب في الرابعة فاقتلوه" وكحديث: "لعن الله السارق يسرق البيضة"(٢).

ويقول الإمام النووي: ومن غرائب الداركي أنه قال: لا يجوز السلم في الدقيق، حكاه الرافعي والمشهور الجواز (الهامش).

إن كتابه "المقدمة في فقه العصر" كتاب لطيف ظريف من ناحية، وفيه كثير من الابتكار في اختيار العناوين وربط الفقه بواقع الحياة المعاصرة كما أن ما كتبه عن السياسة الشرعية يشكل بمجمله مادة جيدة لحل كثير من مشاكل العصر وتوجيه الشباب إلى الوسطية والاعتدال وعدم الجنوح إلى الثورات غير المنضبطة، ودفع الأمة إلى مزيد

(١) مجموع الفتاوى ٢٩١/٢١

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٠٥/١٦

من الشتات، والبلاد الإسلامية إلى مزيد من الخراب والدمار والوقوع في فخ القوى الاستعمارية التي خططت "للفوضى الخلاقة" في المنطقة وحققت ما كانت تريد منها من غير أن يحصل المسلمون على حالة الأمن والاستقرار، رغم كل التضحيات.

يشن المؤلف هجوما شديدا على الفقهاء السابقين واللاحقين متهما إياهم "أنهم انتهجوا منهجا" خلاف أصل التشريع القائم على التيسير ورفع الحرج والمشقات، والقائم على أصل العفو والإباحة في هذه الأبواب (أبواب البيوع والأموال) ويرى أن اجتهادهم أو تعدد أقوالهم في القضايا المالية مصداقا لقول الله تعالى: {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا}" (النساء: ٨٢) مثل هذا الكلام لا يصدر من رجل مطلع على أسباب اختلاف الفقهاء، وتفاوت مداركهم ومناهج استنباطهم، ورحم الله الإمام ابن تيمية الذي هداه علمه ودقة فهمه إلى تأليف كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام".

هذا حال الفقهاء الأعلام السابقين من الأئمة الأربعة وأتباعهم، أما اللاحقون فجريمتهم ليست خفيفة بل هم حسب تعبير المؤلف:

تلقف "هذا الخلاف والاختلاف والتعسير" كثير من بحاثة وفقهاء العصر وجعلوه أصلا لفقه العصر المالي".

"وقد أضر الفهم غير الصحيح للنصوص" منهياً نقده على قوله: فهذه نبذة مختصرة عما ضر من الأنظار والتأويلات بفقه المعاملات والاقتصاد الإسلامي الذي يعد النموذج الراشد للعالم. (٢/٧٧٤- ٧٧٨)

فما هي الجريمة التي ارتكبها السابقون من الأئمة واللاحقون من الباحثين المعاصرين يا ترى ؟ حتى أفسدوا "فقه المال" ما يجعل "اجتهادهم" مستحقا أن يباد ويحل محله "اجتهاد الشيخ فضل مراد" الذي يستحق فعلا أن يسمى "مجتهدا" ولكن ليس "مجتهدا مطلقا" بل "مجتهدا عشوائيا" يعم اجتهاده كافة مجالات الحياة ابتداء من "فقه الوظائف" ومرورا "بفقه الفن والإعلام، والمرور، والسياحة، والتكنولوجيا ويصل إلى الكوافير والمايوه ورقص الفضائيات فلله دره ما أوسع أفقه، وما أغزر علمه، وما أدق نظره؟!

هذا "المجتهد العشوائي المطلق" يرى أيضا أن من ذنوب الفقهاء الأقدمين التي يجب التنبيه عليه:

أولا: التوسع في علة الربا فوق المنصوص أو ما هو قريب منه والذي يقطع به ويتفق عليه الجميع أن الشرع لم ينص في قرآن ولا في سنة على علة الربا وانما حرمه بنصوص قطعية.

فالمحرم قطعا في رأيه ووفق اجتهاده ليس إلا:

١- ربا الديون

٢- و ربا الفضل والنسيئة في أصناف ستة منصوص عليها في أحاديث بلغت حد التواتر وهي: "الذهب، والفضة، والبر، والشعير، والتمر، والملح".

فإذا كان هذا هو اجتهاده فما هو الاكتشاف الجديد في استنباطه هذا؟ وماذا فيه من براعة الاختراع والإبداع؟ فقد سبقه من قال ذلك منذ قرون وقرون في عصر التابعين وأتباع التابعين.

فقد قال طاؤوس وقتادة أن الحرمة مقصورة على الأشياء الستة المذكورة ولا تتعدى إلى غيرها وبه قال داود الظاهري ونفاة القياس كما يقول الإمام ابن قدامة في المغني ٢/٤ وهو قول الشعبي ومسروق وعثمان البتي كما في عمدة القاري ٤٩٠/٥.

فيجوز عندهم بيع الذرة بالذرة متفاضلا لأن الحديث لم يذكر الحرمة إلا في الأشياء الستة المذكورة فيقام عداها على أصل الإباحة لقوله تعالى {أحل الله البيع} (تكملة فتح الملهم ٥٧٨/١)

فإذا كان اجتهاد الشيخ فضل مراد بعد مواصلته الليل بالنهار أوصله إلى هذه النتيجة فكان الأحرى به أن ينسب الأقوال إلى قائليها ويقول هذا هو المختار عندي من أقوال السابقين، فكان في ذلك راحة له واستزاحة للأمة من الوقوع في البلبلة الفكرية، ودون أن تقع عليه وحده المسئولية عن إباحة الربا في أشياء كثيرة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما ذهب إليه جمهور الأمة وكافة الأئمة، ولا عبرة لشذوذ من شذ.

هكذا يختار قولا شاذا رفضه جماهير الفقهاء في عدم تعليل حديث ربا الفضل فلا جديد فيما ذهب إليه فقد سبقه غيره في هذا الفهم الغريب النادر؟!

- "وأيضا من ذنوب الفقهاء عند المؤلف وأخطائهم التي اضرت بفقه المعاملات "الفهم غير الصحيح للنصوص" كنص "لا تبع ما ليس عندك" على فرض صحته"

ولننظر الآن ما هو "الفهم غير الصحيح للنصوص"؟ ومن الذي ارتكبه من الفقهاء والمحدثين قبل خروج هذا "المجتهد المطلق" وظهوره أمام الناس بهذا الفقه الجديد؟ ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: باب بطلان بيع المبيع قبل القبض:

حدثنا يحي بن يحي، حدثنا حماد بن زيد وحدثنا حماد عن عمرو بن دينار عن طاؤوس عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه قال ابن عباس: وأحسب كل شيء مثله رقم الحديث ٣٧٢٠ ومن ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه قال ابن عباس: وأحسب كل شيء بمنزلة الطعام وكذلك تحت رقم ٣٧٢٢:

وفي رواية تحت رقم ٣٧٢٣ عن طاؤوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يكتاله فقلت لابن عباس: لم؟ فقال: "ألا تراهم يتبايعون بالذهب والطعام مرجأ" ولم يقل أبو كريب: مرجأ.

وجمع الإمام المسلم الروايات بكافة أسانيدها إلى أن روى تحت رقم ٣٧٣٢:

حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الله بن الحارث المخزومي حدثنا الضحاك بن عثمان عن بكير بن عبد الله بن الأشج عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة أنه قال لمروان: أحللت بيع الربا، فقال مروان: ما فعلت ؟ فقال أبو هريرة أحللت بيع الصكاك وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام حتى يستوفى، قال: فخطب مروان الناس فنهى عن بيعها، قال سليمان فنظرت إلى حرس يأخذونها من أيدي الناس.

فانظر هذا الشخص الذي ينصب نفسه "مجتهدا مطلقا" كيف يطلق النقد اللاذع على كل من لا يوافقه في اجتهاده من السابقين واللاحقين ويحكم على ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة، وأبي هريرة رضي الله عنه راوية الإسلام، أنهما لم يفهما النص فهما صحيحا؟!

ويدعى أنه لا يصح الاستدلال به على بيع ما لا تملكه ولم تقبضه لأن لغة العرب تأباه وهذه الشريعة عربية؟!

فهل يرى هذا المجتهد أن ابن عباس ترجمان القرآن لم يكن يفهم اللغة العربية؟!

ثم يتفلسف ويقول: "ولا يصح كذلك من باب المقاصد الشرعية التي أمرت بحفظ المال" وهل "المقاصد الشرعية" المزعومة أو الموهومة تصلح أن تكون حكما على النصوص الواضحة القطعية؟

وكذلك في "صحيح الإمام البخاري": باب بيع الطعام قبل أن يقبض وبيع ما ليس عندك".

يقول الإمام ابن حجر في شرحه:

لم يذكر في حديث الباب بيع ما ليس عندك، وكأنه لم يثبت على شرطه فاستنبطه من النهي عن البيع قبل القبض....

ثم يقول ابن حجر: وعلى هذا التفسير لا يختص النهي بالطعام ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما:

"لا أحسب كل شيء إلا مثله"

ويؤيده حديث زيد بن ثابت: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم". أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان

قال القرطبي: هذه الأحاديث حجة على عثمان البتي حيث أجاز بيع كل شيء قبل قبضه، وقد أخذ بظاهرها مالك فحمل الطعام على عمومه، والحق بالشراء جميع المعاوضات وألحق الشافعي وابن حبيب وسحنون بالطعام كل ما فيه حق توفية.

وزاد أبو حنيفة والشافعي فعدياه إلى كل مشترى، إلا أن أبا حنيفة استثنى العقار وما لا ينقل، واحتج الشافعي بحديث عبد الله بن عمرو قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ربح ما لم يضمن".

وفي معناه حديث حكيم بن حزام المذكور في صدر الترجمة(١).

---

(١) فتح الباري ٤/٤٢٢

ومع كل ذلك يقول: ومما لا دليل عليه اشتراط القبض في غير الطعام فإن القبض في الطعام مذكور في الصحيحين، أما غيره فلا يصح فيه دليل.

كذلك لا جديد في ما كتبه عن موضوع الغرر والجهالة غير التفخيم والتهويل والادعاء أن الفقهاء السابقين لم يفهموا فهما صحيحا واللاحقون بنوا على اجتهادهم فأضروا بالفقه المالي .

يقول: "ومما أضر بفقه المعاملات والأموال التوسع في تحريم المعاملة بالغرر والجهالة".

كذلك من دأب المؤلف أنه بعد تفخيم خطأ الفقهاء يذكر قولا كأنه هو الذي اكتشفه واستنبطه من النصوص أولا ثم يذكر اسم ابن تيمية أو ابن حزم مثلا بأنه وجد قولهما موافقا لما ذهب إليه واستنبطه، والموقف الصحيح أن يذكر اجتهاد السابقين وأقوالهم أوّلا ثم يذكر أسباب اختيار ما اختاره من أقوالهم.

إن الغرر اليسير معفو عنه عند جميع الفقهاء، كذلك الجهالة اليسيرة التي لا تؤدي إلى المنازعة، لا تأثير لها في صحة العقد.

يقول الإمام النووي رحمه الله:

أجمع المسلمون على جواز أشياء فيها غرر حقير منها أنهم أجمعوا على جواز بيع الحبة المحشوة ولم يرحشوها ولو بيع حشوها بانفراده لم يجز، وأجمعوا على جواز إجارة الدار والدابة والثوب ونحو ذلك شهرا، والشهر قد يكون ثلاثين يوما وقد يكون تسعة وعشرين.

وأجمعوا على جواز الشرب من السقاء بالعوض مع جهالة قدر المشروب، واختلاف عادة الشاربين.

ويقول العلامة الفقيه المعاصر الشيخ محمد تقي العثماني:

ويخرج على هذا كثير من المسائل في عصرنا، فقد جرت العادة في بعض الفنادق الكبيرة أنهم يضعون أنواعا من الأطعمة في قدور كبيرة ويخيرون المشتري في أكل ما شاء ويأخذون ثمنا واحدا معينا من كل أحد، فالقياس أن لا يجوز لجهالة الأطعمة المبيعة وقدرها ولكنه يجوز لأن الجهالة يسيرة غير مفضية إلى النزاع، وقد جرى به العرف والتعامل.

وكذلك استئجار السيارات ربما لا يعرف سائقها مسافة السفر ولا تتعين الأجرة في بداية السفر ولكن هذه الجهالة تتحمل لكون العداد رافعا للنزاع ويتفق السائق والراكب على أجرة يدل عليها العداد فلا يقع فيه النزاع، وذكر الحافظ نقلا عن الطبري أن ابن سيرين كان يرى بيع الفرر جائزا إن سلم في المآل(١).

يقول إمام العصر محدث الهند الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري:

ولذا أقول فيما أظن – والله تعالى أعلم – إن من البيوع الفاسدة ما لو أتى بها أحد جازت ديانة وذلك لأن الفساد قد يكون لحق الشرع بأن اشتمل العقد على مأثم فلا يجوز بحال، وقد يكون الفساد لمخافة التنازع ولا يكون فيه شيء آخر يوجب الإثم فذلك إن لم يقع فيه التنازع جاز العقد ديانة، وإن بقي فاسدا قضاء لارتفاع علة الفساد وهي المنازعة ويدل عليه مسائلهم في المضاربة والشركة فانها ربما تكون فاسدة مع أن الربح يكون طيباً.

ونبه الحافظ ابن تيمية في رسالته على أن من البيوع ما لا يقع فيه النزاع فتكون تلك جائزة (٢).

رغم كل ذلك يتهم الفقهاء القدامي والمعاصرين بأنهم أضروا بفقه المعاملات بتوسعهم في تحريم المعاملة بالغرر والجهالة، فهل هذا إلا جهل بموقف الفقهاء أو ظلم عليهم بالاتهام الباطل ؟

لم يبين المؤلف منهجه في الاجتهاد ولا الأصول التي يعتمدها في الاجتهاد والاستنباط، ويحاول أن يجاري الأئمة الأربعة بدعوي أنه يأخذ من حيث أخذوا.

والذي تبين من الاستقراء في كتابه أنه يجعل القرآن الكريم أساساً للاجتهاد وبعموم ألفاظه دون الإشارة إلى شأن نزول الآيات أو ما ذهب إليه المفسرون السابقون أو المؤلفون في أحكام القرآن.

كما أنه يستند كثيرا إلى مقاصد الشريعة ويذكر المصالح ويبني عليها الأحكام دون الإشارة إلى عدم انضباط المصلحة أو الحكمة، وقد

(١) تكملة فتح الملهم ١/٣٢٠ وراجع فتح الباري ٤/٢٩٩

(٢) فيض الباري ٣/٤٨٤

زاد مقصداً سادساً على المقاصد الخمسة التي اعتمدها إمام الحرمين الجويني في البرهان والتي بسطها الإمام الغزالي في المستصفى.

والمقصد السادس هو "حفظ الجماعة العامة" إلى جانب حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض كما لم يبين طريقة تعامله مع القياس، وإن كان يستخدمه وكذلك الإجماع.

لقد توسع المؤلف في بيان فقه الدولة أو فقه السياسة الشرعية وهو أصل الكتاب، وكذلك فقه المال والاقتصاد فقد تناول فيه الجوانب الكثيرة.

وبسبب اجتهاده "العشوائي المطلق" يقع أحيانا في أخطاء كبيرة ويميل إلى أقوال شاذة.

فيرى المؤلف إباحة التأمين بكافة صوره وأشكاله وينتقد الفقهاء الذين يرون تحريم التأمين التجاري بعلة الربا والقمار.

يقول منتقدا ما يكاد يكون إجماعاً من فقهاء القضايا المعاصرة:

ما هو ضعيف الاستدلال في المنع ومنها تحريم التأمين لأجل التحير في تخريجه على مسألة ذكرها الأئمة الأربعة ونحوهم.

والحق أنها على الإباحة لعدم وجود مانع من الموانع الخمسة الشرعية على وجه التحقيق أو الغلبة المعتبرة شرعا في الفتوى لا مجرد الوجود بدون هذين الوصفين (١).

كذلك يدعى أنه مما لا دليل عليه اشتراط تقديم رأس مال السلم ويقول:

ولم أجد دليلا من كتاب أو سنة عليه بل كان مالك يفتي بجواز تأخيره لثلاثة أيام ومع هذا فقد جعل البعض هذا الشرط أصلا في كثير من المعاملات والعقود المعاصرة، والحق أنه لا أصل له من كتاب ولا سنة فنبقى على أصل الحل والإباحة المتيقنة حتى تزحزح بيقين(٢).

كذلك بسبب عدم التزامه بمنهجية الاجتهاد وقع في أخطاء ومخالفة الجمهور من الفقهاء في كثير من المسائل، يقول بكل صراحة:

(١) المقدمة في فقه العصر ٢/٧٧٦.

(٢) المقدمة في فقه العصر ٢/٧٧٦.

"ذبائح كل إنسان من كل دين مباحة ما لم يتيقن أنه ذبحها للنصب، أو أهل لغير الله به، وإنما قلنا بذلك لأن المحرم من المطعم حصر ذلك {قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به} (الأنعام: ١٤٥)

{وما ذُبح على النُصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق} (المائدة: ٣)

فالتبادل التجاري بين الأمم في مطعوم ومستهلك مفتوح على مصراعيه إلا ما استثنى في النص وعلم أنه كذلك. (٢/ ٨٨٠)

وهذا أمر لا يحتاج إلى تعليق، وصدق من قال:

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجني عليه اجتهاده

ومن الإنصاف أن يقال : إن الكتاب يحتوي على مادة صالحة ومفيدة، في عرض سهل ومبتكر لبعض القضايا الفقهية والفكرية كما يحتوي على قدر كبير من آراء شاذة واجتهادات غير ناضجة وانتقادات غير منهجية بل واساءات واضحة وصريحة إلى الفقهاء السابقين واللاحقين وكان الأحرى تجنبها وعرض "الاستنباطات الخاصة" و"الاكتشافات الجديدة" أمام العلماء غير مصحوبة بادعاءات تحط من مكانتها.

إن جهد المؤلف لكان قد نال تقدير وإعجاب العلماء لو كان تواضع قليلا في تقديم اجتهاده وجرّده من نزعة فوقية ادعائية استعلائية من شأنها أن تنعكس سلباً على المؤلف والكتاب. والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

❖ ❖ ❖

دراسات وأبحاث

حركة التأليف والترجمة في اللغة العربية في الأندلس الإسلامية

الدكتورة زرنغار – أستاذة مساعدة بالجامعة الملية الإسلامية، دلهي (الهند)

كانت الأندلس قبل أن يفتح العرب خالية من العلم والثقافة ولم يكن بها علم ولا ثقافة "وأن العرب حين فتحوا أسبانيا كان ظلام الجهل يطبق عليها ولم يكن بها علم ولا علماء وبحق ما يقوله صاعد في كتابه طبقات الأمم أن هذا القطر لم يعرف في العصر القديم بالعلم ولا كان به شخص اشتهر بحبه للعلم وظل مغلقاً في وجه الحكمة إلى أن فتحه العرب"[1].

فلمّا جاء العرب إلى الأندلس وتوجّهوا إلى الاهتمام بالعلوم والآداب والفنون، عرفت الأندلس الحضارة والثقافة، ومعنى ذلك أن الفتح العربي لم يكن لهذه البلاد احتلالاً عسكرياً فقط بل كان عاملاً وسبباً لظهور الثقافة والحضارة، ونتجت عنه ثقافة جديدة باسم الثقافة الأندلسية التي امتزجت بالإسلام والنصرانية واليهودية وغلب عليها أثر الإسلام والعرب، ثم راجت هذه الثقافة في جميع بلاد الأندلس.

أما حركة التصنيف والتأليف فقد ظهرت متأخّراً عن الفنون الأدبية الأخرى خلال فترة الخلافة وكانت معدومة في زمن الإمارة، فبدأت بعد أن اندفقت الثقافة العربية في أفق الأندلس اندفاقاً تاماً واتسع بها مجال الأدب العربي وبدأ هذا النوع منه عندما توفّقت ينابيع العلم والثقافة بها، وهبّ الأدباء الأندلسيون يؤلّفون ويصنّفون بالعربية ويجارون المشارقة في كل فن وفي كل علم من اللغة والعلم والجغرافية والتاريخ والطبيعة والفلسفة كما يذكر الدكتور بطرس البستاني قائلاً: "قام التصنيف إلى جانب الترسل فلم يترك الأندلسيون علماً أو فناً ظهر في المشرق إلا وقد بحثوا فيه ونالوا

[1] عصر الدول والإمارات: ص/٦٠، نقلاً عن طبقات الأمم: ص/٩٧.

قسطاً منه قلّ أو كثر"(٢) .

وكان أول مؤلف في الأندلس كتاب : "القضاة بقرطبة" لمحمد بن حارث الحشني الذي ألّفه حسب ما اقتضاه الخليفة حكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر وكان محمد الحشني عالماً جليلاً بالعربية .

وكان التصنيف والتأليف بالأندلس منقسماً في فرعين بعد أن اتسع مداه وإن تنوعت حركته كما يقول الدكتور أحمد هيكل : "قد ظهر هذا النوع من النثر خلال فترة الخلافة في صورتين ، أو تمثل حينذاك في فرعين الفرع الأول : التاريخ الأدبي ، والفرع الثاني : التأليف الأدبي" (٣) .

وأما تأليف التاريخ الأدبي ، فألّف فيه كثير من كتب التراجم للشعراء والأدباء وكتب تطوي حياتهم وجهودهم الأدبية النادرة ، فكان تاريخاً بسيطاً محاكياً للمشارقة ومشابهاً بأسلوبهم ، لكن مع أشد الأسف قد ضاع أكثر من هذه الكتب التاريخية والمؤلفات الثمينة وضاع كثير منها بسبب حركة التعصب المسيحي بعد سقوط غرناطة من تعقب للعرب وإحراق الكتب العربية وتحريم قراءة اللغة العربية فكان هذا عاملاً مهماً حال دون وصول المؤلفات والمصنفات للمسلمين والميراث الإسلامي العظيم إلى الناس .

ومن أمثلة هذه الكتب : "طبقات الشعراء بالأندلس لعثمان بن أبي ربيعة" ، و "أخبار الشعراء بالأندلس لمحمد بن هشام المرواني" ، و "كتاب الحدائق لأبي الفرج الجياني" ، و "شعر الخلفاء من بني أمية لعبد الله بن المغيث" وغيرها كتب كثيرة ، وكانت هذه الكتب من أوائل القرن الإسلامية وقد ضاع كثير منها وما وجدنا إلاّ أسماءها في المصادر العربية القديمة المتعلقة بتاريخ الأندلس وأدبها .

وكان القسم الثاني : هو النثر التأليفي الأدبي الخالص وقد ألف فيها عن جميع الفنون الأدبية العربية من النظم والنثر واللغة والنقد مع جميع أنواعها وتاريخها وطرائفها وما إلى ذلك ، ومن طليعة هذه الكتب كان المؤلف الأندلسي عظيم الشأن والقبول المسمّى في الشرق والغرب سواء ، وإن كان أكثر المواد في هذا التأليف المعروف يتعلّق بالمشرق ، لذلك قال فيه

(١) أدباء العرب لبطرس البستاني ، المجلد الثالث ، ص/١٩١ .

(٢) الأدب الأندلسي لأحمد هيكل ، ص/٢٥٤ .

الصاحب بن عباد قوله الشهير لما اطلع عليه : "هذه بضاعتنا ردّت إلينا" واستفاد المؤلف في تأليفه من كتب المشارقة كـ "عيون الأخبار" لابن قتيبة ، و "البيان والتبيين" و "كتاب البخلاء" للجاحظ ، و "السيرة النبوية" لابن هشام ، و "كليلة ودمنة" لابن المقفع وغيره ، كان الأسلوب في هذا الكتاب ساذجاً خالياً من التكلف والسجع إلا في مواضع قليلة .

وازدهرت حركة التأليف ونسخ الكتب وصناعتها في الأندلس ازدهاراً عظيماً كما ذكر الدكتور لطفي عبد البديع في كتابه : "ثم كثر التأليف في عصر المرابطين منافسة للمشارقة فيما ألّفوا عن أخبار شعرائهم فألّف ابن بسام كتابه : "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" ليثبت به تفوق شعراء بلاده وقد نظر وهو يؤلفه إلى كتاب يتيمة الدهر للثعالبي"[٤] .

واتسعت هذه الحركة من التأليف والتصنيف في الأندلس وكثر عدد الإنتاجات في جميع الفنون والعلوم حتى ندرك عددها الحقيقي وضاع أكثر منها ، وذكر الدكتور البير حبيب أسماء الكتب الشهيرة التي قد ألّفت في اللغة والنحو، فبلغ عددها إلى ثمانية وثلاثين كتاباً بعد أن سقط أكثرها من أيدينا .

واشتهر كثير من المصنفين والمؤلفين بالأندلس كالأديب البارع والمؤرخ الشهير ابن قوطية الذي ألّف كتباً عديدةً ومنها نال كتابه : "تاريخ افتتاح الأندلس" صيتاً كبيراً ، واشتهر ابن حزم شاعراً وكاتباً وكانت مؤلفاته النثرية كثيرة ، ومن أشهرها كتابه : "طوق الحمامة في الألفة والآلاف" في فلسفة الحب والمحبة ، ويصف شوقي ضيف هذا الكتاب الشهير في خاتمة كتابه قائلاً : "ونلتقي بأعمال نثرية متنوعة وفي مقدمتها كتاب طوق الحمامة لابن حزم الفقيه المبدع ، هو يكتظ بتجاربه وتجارب معاصريه في الحب العذري مع الشهادة الناطقة بازدهار هذا الحبّ العفيف الطاهر في الأندلس"[٦] .

هكذا عُرف أبوبكر بن طفيل بكتابه المعروف بـ "قصة حيّ بن

٤ الإسلام في أسبانيا لعبد البديع : ص/٧٦ .

٥ عصر الدول والإمارات – الأندلس لشوقي ضيف : ص/٥٤٣ .

٦ راجع الحركة اللغوية لألبير الحبيب : ص/١١٢- ١١٨ .

يقظان" في الفلسفة وقد ترجم في كثير من اللغات الأوربية من اللاتينية والعبرانية والفرانسيسية والإنجليزية .

فكثر عدد المؤلفين الذين ألّفوا خاصة في تراجم الأدباء الأندلسيين وجهودهم الأدبية كما نرى في كتاب : "المقتبس" لابن حيان ، و "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام في كتابه التراجم الأدبية و "البيان المغرب" لابن عذارى ، و "المغرب" لابن سعيد ، والكتب لابن الآبار ، و "نفح الطيب" لأحمد المقرى الذي أحاط كثيراً من تاريخ الأندلس ورجالها وشعرائها وأدبائها وشواعرها وما إلى ذلك ، و "قلائد العقيان" لفتح بن خاقان وغيره ، يعدّ جميع هذه الكتب أهمّ مصادر للتراث الأدبي الأندلسي .

ذكر جميع المؤرخين هذه الكتب في تأليفاتهم كما يذكر رينالد نيكالسون مفصّلاً :

The philosopher, however stand in a class by themselves, Ibn-e-Baja (Arempace) Ibn-e-Rushd (Avenroes), Ibn-e-Tufail and Musa B. Maimoon (Maimorides) made their influence felt far beyond the borders of Spain, they belong in a sense to Europe. ٧

هكذا ذكر المؤرخ أسماء أكثر الأدباء من الفنون المختلفة ومن العصور المتعاقبة في كتابه واكتفينا بهذه الكلمات نظراً على الاختصار . وكان النقد في التأليف والتصنيف لم يزدهر بالأندلس ولم يرتفع شأنه بها كما بلغ ذروة بين المشارقة لذلك لم يصلنا كتاب في هذا الموضوع إلا كتاب ابن شهيد المسمّى بـ "رسالة التوابع والزوابع" ، ولا يوجد هذا الكتاب تماماً إلا الفصول التي أوردها ابن بسام في كتابه ، ونقلها عنه بطرس البستاني في صورة كتاب مستقل وهو يقول نفسه : "والنقد في الأندلس لم يرتفع له شأن إلا عند أبي عامر بن شهيد حتى إنه فاق نقد المشرقيين في بعض نواحيه لأن أبا عامر سلك طريقاً في كتابه التوابع والزوابع لم يسلكه واحد منهم فكان ينظر في نقده إلى نفس الأديب وأعضاء جسده" ٨.

هاهي حركة التأليف والتدوين التي كانت بدأت متأخراً لكنها ازدهرت سريعاً وأنتجت وافراً وأذخرت في الأدب العربي كثيراً ، وأما

٧ A Literary history of the Arab. By Reynold A.Nichaolson:P.334

٨ أدباء العرب لبطرس البستاني .

حركة الترجمة في الأندلس بعد إقبال الأندلسيين على اللغة العربية وبراعتهم ونبوغهم فيها ، وكانت لهذه الحركة عوامل ، ومن أهمها رحلة الأندلسيين إلى الشرق ودخول الأدباء المشارقة في بلادهم و ورود كتب المشارقة فيها ، ولم يلبث ظهور هذه الحركة زمناً إلا انتشر بها وأنتج أهمّ الإنتاجات في صورة الكتب المهمة جليلة القدر والشأن .

قامت هذه الحركة المذكورة بدور أساسي في تثقيف المسلمين وتمريب العلوم بينهم في العصر العباسي خاصة ، وازدهرت هذه الحركة بعوامل متعددة وارتقت بها حتى تمّ قيام بيت الحكمة بيد الخليفة المأمون ، وشاعت هذه الحركة جميع أنحاء العالم شرقاً كان أو غرباً و وصلت إلى الأندلس مع مرور الزمن وأسهم بيت الحكمة البغدادي في رفد الحركة الثقافية في الأندلس ودعمها وتشجيعها وتزويدها بالمصنفات والمؤلفات وحثّها على الترجمة والتأليف ، وازدهرت هذه الحركة بفضل الروابط الثقافية بين قرطبة وبغداد مدينتي علم وثقافة حتى تأثر حاكم قشتالة وليون الملك الأسباني الفونسو العاشر العالم بالثقافة المشرقية وأسّس مدرسة للترجمة في طليطلة بعد سقوطها على يد ملك قشتالة الفونسو السادس ، وذلك على غرار أسلوب بيت الحكمة وبرنامجها إذ أصبحت طليطلة تنافس بغداد في حركة الترجمة واستمرت زهاء قرن كامل ، يذكر الدكتور محمد عباسة في مقالته : "تعدّ طليطلة الأندلسية بعد سقوطها على يد النصارى بقيادة الملك الفونسو السادس في سنة ١٠٨٥م أول مدينة ظهرت فيها حركة الترجمة ، وكانت المكتبات الحافلة بالمؤلفات العربية من أهمّ العوامل التي شجعت النصارى على الترجمة ونقل كُتب العرب إلى اللغة العربية"[٩] .

هكذا ازدهرت حركة الترجمة بالأندلس ، لكن اختلف المؤرخون فيها وانقسموا فريقين : فريق منهم يرى أن ناحية الترجمة كانت أضعف النواحي من سواها في النثر الأندلسي لأنّها لم تقم به كما قامت في الشرق بدور مهمّ في تعريف العلوم وشرحها من اللغات الأجنبية ، وما وجد في الأدب

٩ مجلة حوليات جامعة مستغانم الجزائر ، العدد الخامس ٢٠٠٦م ، اسم المقالة : الترجمة في العصور الوسطى للدكتور محمد عباسة ، مأخوذ من الإنترنيت : www.moodle.univ-mosta.dv/are/abbasa-pdf.

الأندلسي شئ جدير بالذكر من الترجمة بالعربية ، وكان أقلّ من فنون النثر الأخرى ، ويضيف هذا الفريق إليه أن الأندلسيين أكثروا في النقل من العربية إلى اللاتينية غير أن يُفنوا اللغة العربية ، ولا يوجد بينهم إلا كتابان ترجموهما إلى العربية من اللاتينية وهما كتاب هروشيوش في التاريخ وكتاب ديوسقوريدوس في النبات ، وقد ذكر عنهما الدكتور البير حبيب في كتابه وبعد ذلك يقول : وأما فيما يتصل بغير هذين الكتابين فلا نعرف اهتماماً آخر بالترجمة يغنى اللغة العربية كما حدث في حقل الترجمة بالمشرق"١٠.

وأما الفريق الثاني فيجعل حركة الاستعراب أساساً ودليلاً لحركة الترجمة في هذا الصقع ويقول : إن للاستعراب دوراً مهماً في نقل الحضارة العربية والتراث العربي إلى الأندلس ، ويستدلّ عليه حاجة الأندلسيين إلى ترجمة قانونهم للكنيسة وصلواتهم إلى العربية لكيلا يفوت هؤلآء الشبان الدين مثلما فاتتهم اللغة ، ويذكر الدكتور لطفي عبد البديع في كتابه : "كما ترجم المستعربون قانون الكنيسة ترجموا أيضاً الأناجيل الأربعة إلى العربية"١١.

ويمكننا أن نقول: إن اللغة العربية قد تطورت في الأندلس بفضل الترجمة بحيث اكتسبت ألفاظ ومصطلحات علمية جديدة ذات مصادر لاتينية ويونانية ، وكان العرب في الأندلس قد ترجموا كثيراً من المؤلفات اليونانية واقتبسوا من مناهل فكرهم ، ولقيت مجهوداتهم ترحاباً حاراً كبيراً لدى العالم العربي أجمع ولدى أوربا أيضاً ، وتقدمت الأندلس في ميدان العلم والثقافة والحضارة تقدّماً جلياً ، وعندما فكرت أوربا في التخلص مما هي فيه من التأخر لم تجد أمامها سوى بلاد الأندلس لقربها منها ، فاهتم الأوربيون بالحضارة العربية الإسلامية عند احتكاكهم بالأندلسيين ، فأثرت حركة الترجمة والعلم فيه كثيراً ومثلت دوراً ملموساً؛ لأن بفضل هذه الترجمة استطاع الأوربيون أن يقرأوا كتب اليونان التي ضاع أصلها ، ويعرفوا عن حضارتهم .

يشير إلى ذلك الأستاذ محمد رجاء حنفي في مقالته : "استمر نشاط

١٠ الحركة اللغوية في الأندلس للدكتور البير حبيب : ص/٩٠ .

١١ الإسلام في اسبانيا للدكتور لطفي عبد البديع : ص/٣٠ .

حركة الترجمة في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الميلادي" ثم ينقل الأستاذ محمد قول المستشرق سارتون الذي يقول ويعترف : "لو لم ينقل إلينا العرب كنوز الحكمة اليونانية لتوقف سير المدنية بضعة قرون فقد كانوا أعظم معلمين في العالم في القرن الثامن حتى الثاني عشر الميلادي"١٢.

فبناء على ذلك نصل إلى النتيجة أن حركة الترجمة قد ازدهرت في الأندلس ونشطت بها وترجم الأدباء الأندلسيون كثيراً من الكتب والمؤلفات من اللاتينية واليونانية إلى العربية ومن العربية إلى الأسبانية ، لكن جميع هذه الأعمال أقل من أعمال المشارقة في هذا الصدد ؛ لأنهم (المشارقة) أوفر حظاً في الترجمة وتعريب العلوم والفنون وشرحها وليس لهم مثيل فيه .

بالجملة هذه هي كانت كيفية اللغة العربية وآدابها بالأندلس الإسلامية التي حكمها المسلمون سبعة أو ثمانية قرون وأقاموا فيها حضارة رفيعة ومباني نادرة ، و ولد فيها يتائم الدهر من الأدباء والعلماء والفقهاء والمؤرخين والفلاسفة وظهر كثير من إنتاجاتهم في صور المؤلفات والمصنفات والمخترعات العلمية ، لكنها قد تعرّض جزء كبير من هذا التراث الثمين الغالي إبادة بربرية بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ ، وضاع أكثر منها وما بقي إلا جزء قليل عندنا .

لكن توجد إلى الآن وإلى يومنا هذا كتب كثيرة في مكاتب قرطبة وطليطلة وغرناطة تنتظر القراء وتدل على سيطرة اللغة العربية على الأندلس القديمة وعلى إسهام الأندلسيين فيها ، وبجانب الأدباء الأندلسيين كانت نساء بارعات قد أسهمن فيها وجئن بإنتاجات كثيرة في الآداب والفنون ، وخاصّة في الشعر العربي الأندلسي .

***

١٢ اسم المقالة : أثر الأندلس الإسلامية في أوربا للأستاذ محمد حنفي ، صوت الأمة : العدد الخامس ، المجلد/٢٤ ، مايو ١٩٩٤م ، دار التأليف والترجمة بنارس – الهند .

مسئولية منظمة الأمم المتحدة لحل مشاكل الإنسانية

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

لقد أنشئت منظمة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، وظهرت إلى حيز الوجود بصفة رسمية في ٢٤/أكتوبر/١٩٤٥ م، عندما تم التصديق على ميثاقها من قبل الدول المنتصرة في الحرب، خصوصاً الدول الكبرى: الولايات المتحدة الأمريكية، المملكة المتحدة، فرنسا، الاتحاد السوفيتي، الصين، إلى جانب الدول المؤسسة لهذه المنظمة الدولية، وحددت أهدافها بأنها تسعى إلى عدة أغراض، منها:

١. حفظ السلم والأمن الدوليين.
٢. إنماء العلاقات الودية بين الدول.
٣. تحقيق التعاون الدولي على حل المشكلات الدولية ذات الصبغة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الإنسانية.
٤. أن تكون مركزاً لتنسيق جهود الأمم في سبيل بلوغ هذه الأهداف المشتركة.

فقد كان قيام منظمة الأمم المتحدة في عام ١٩٤٥م لغرض نبيل، وقد مرَّ العالم كله بمعاناة بشرية قاسية خلال الحرب الكونية التي انتهت بإلقاء قنبلة ذرية على هيروشيما وناجاساكي في اليابان، ذهب ضحيتها ألوف من الناس، ولا تزال آثار هذه البربرية تلاحظ، فاجتمعت القوى العالمية التي مرت بهذه التجربة المريرة، لإنشاء منظمة تحمي الإنسانية في مثل هذه الكارثة، ووضعت في مقدمتها اتخاذ إجراءات لمنع نشوب حرب جديدة، وحل المشكلات التي تحدث في الحياة الفردية والجماعية لطبائع الإنسان المختلفة ودوافعهم المادية، بطرق سلمية، وإذا أصر فريق من المحاربين على الحرب بتدخل قوة عالمية، كان منعه بطريق أو آخر.

ولهذه المنظمة وكالات مختلفة كحقوق الإنسان، والتعليم والتربية، ونشر القيم الحضارية، والإسعاف والإعانة في أحوال الكوارث الطبيعية والصراعات والنزاعات.

وقامت هذه المنظمة بدورها المطلوب مدة طويلة رغم انقسام العالم إلى الاشتراكي والرأسمالي، وقامت بحل نزاعات وصراعات، وكان بفضل هذه الجهود تحرُّر عدة بلدان من الاستعمار الغربي وعضويتها في هذه المنظمة، وكل عضو كان له من قبل المنظمة اعتراف وضمان لسلامته وبقائه وحقوقه لتدخل المنظمة ووكالاتها، فكانت المنظمة كلما حدثت أية مشكلة ترسل مراقبين يدرسون المشكلة ويقدمون حلولها، وللمنظمة مجلس الأمن المتكون من خمسة أعضاء، وهذا المجلس يخول المنظمة باتخاذ تدابير وقائية.

وقد مرَّ العالم بصراعاتَ ونزاعات، تهدد بالحروب، ولكن تدخل المنظمة حال دون اتساع هذا الصراع، وبذلك احتفظت الدول الأعضاء بسلامتها الإقليمية وسيادتها، وأجبر المعتدي على الانسحاب، ولم يسمح بأن يستمر.

ولكن منذ مدة أصبحت هذه المنظمة وجمعيتها كمنبر لإلقاء محاضرات، وفقدت صلاحيتها لاتخاذ تدابير وقائية، وذلك لتدخل بعض القوى الكبرى التي تحمي المعتدي وتحول دون اتخاذ إجراء رادع ضده، وموقف بعض الدول التي تحظي بقوة كبيرة لرفض قرارات الأمم المتحدة، ولذلك وقعت عدة دول فريسة للاعتداء السافر، وفقدت سلامتها وأمنها، وكانت إسرائيل طول هذه المدة رغم عضويتها تقف موقف عدم المبالاة بقرارات الأمم المتحدة، وتتمتع بحرية كاملة لاتخاذ أي موقف ضد ميثاق حقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة لإقرار الأمن والسلامة، ولا تجترئ أي دولة أن تستنكر هذا الموقف خوفاً من سخط الدول التي تحميها.

ولأول مرة قام السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة بإدانة إسرائيل وهو الصوت الوحيد الذي ارتفع من قبل مسئول للأمم المتحدة منذ الإجراءات التعسفية التي تمارسها إسرائيل، وننقل هنا بيانه الذي أدلى به بعد زيارته لقطاع غزة ذكر فيه ما شاهده في غزة من بربرية الجنود الإسرائيليين بحق الشعب الفلسطيني.

قال بان كي مون، في مؤتمر صحافي عقده في غزة، بعد أن تفقد مشاهد الدمار، إنه يسره أن يبشّر سكان قطاع غزة بأن أول شاحنة محملة بمواد البناء دخلت القطاع اليوم. كما أعلن أن موظفي القطاع العام في الحكومة السابقة (حماس) سيتلقون قريباً هبات مالية. لكنه أكد أن ذلك

ليس كافيا، وأنه يجب حل مشاكل المعابر، في إشارة إلى تسلم السلطة الفلسطينية لهذه المعابر من أجل الاستمرارية.

وقال بان كي مون بهذا الخصوص «إن إدارة المعابر في قطاع غزة أمر مهم جداً، وهذه العملية ستمكن من التحكم والتبادل التجاري بين الضفة وقطاع غزة.. أنا ركزت في حواراتي مع الحكومة الإسرائيلية على أنه لا يمكن حل مشاكل قطاع غزة دون حل هذه المشاكل، وهذا سيشمل لاحقاً رفع الحصار عن قطاع غزة، وفق الاعتبارات الأمنية الإسرائيلية، ويجب على الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي العودة إلى المفاوضات وحل كل هذه المشاكل، وإلا سيعود العنف مرة أخرى.

وعبر بان كي مون عن الحزن مما شاهده من دمار في غزة بعد زيارته حي الشجاعية، وقال متأثراً «أنا هنا في مهمة ثقيلة على قلبي، الدمار الذي رأيته هنا يفوق الوصف. هذا الدمار الذي رأيته أكثر بكثير من الدمار الذي رأيته في ٢٠٠٩ عندما أتيت إلى غزة.

وقال بان كي مون «أنا هنا لكي أقول للشعب الفلسطيني: أنتم لستم وحدكم أنا أقف بجانبكم.. وأعضاء وموظفو الأمم المتحدة سيقفون إلى جانبكم دائما، بل كل المجتمع الدولي يقف معكم». وأضاف «أريد أن أوجه التعازي الحارة لكل العائلات التي فقدت أبناءها ولكل الذين فقدوا أحباءهم، وأتمنى الشفاء العاجل لكل الذين أصيبوا".

لقد كان من أسباب قيام هذه المنظمة إقرار الأمن وردع الاعتداء من قبل القوى الكبرى على الدول الصغيرة، وحل النزاعات وتوفير إمكانيات الإسعاف في المحنة، سواء كانت طبيعية أو بشرية، ولكن هذه المنظمة أصبحت عاطلة بل مكبلة بالقيود من قبل الدول الكبرى، ولذلك تبقى المشكلات الناشئة في المجتمع بدون حل، وتتوسع دائرتها، وكان أحدث مثال سوريا حيث تستمر المأساة الإنسانية، وقد اضطر مئات الإنسان من سكانها إلى النزوح إلى تركيا والبلدان المجاورة، فكانت تركيا أكثر تعرضاً لوقع هذه الحرب الطاحنة التي تستمر بتأييد الدول التي لها مصالح في بقاء هذا النظام.

وقد ألقى الرئيس التركي خطاباً في الدورة التاسعة والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة، وذكر فيه مسئولية هذه المنظمة في مثل هذه

الظروف، وشكا عدم تحملها لهذه المسئولية، قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان:

" في الوقت الذي تم فيه الانقلاب على رئيس منتخب من قبل الشعب، وقتل الآلاف ممن خرجوا يسألون عن مصير أصواتهم، اكتفت الأمم المتحدة والدول الديمقراطية، بمجرد المشاهدة وأضفوا شرعية على ذلك الانقلاب، فلو كنا نحترم الديمقراطية علينا أن نحترم نتيجة الصناديق، لكن إذا كنتم لا تحترمون الديمقراطية، وتدافعون عمن جاءوا بالانقلابات، فلما إذن الأمم المتحدة موجودة؟".

وأفاد أن الدورة الـ٦٩ للجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقدة حاليا تتزامن مع الذكرى المئوية للحرب العالمية الأولى التي اندلعت في العام ١٩١٤، وعلى الرغم من ذلك، وعلى الرغم من مرور فترة زمنية بلغت ١٠٠ عام، إلا أننا نشاهد بكل حزن وأسف أن المناطق الجغرافية التي كانت مسرحا لتلك الحرب، لازالت محرومة من الاستقرار والرفاهية والسلام، من سوريا للعراق، ومن فلسطين لليمن ومن مصر لليبيا ومن أفغانستان لأوكرانيا، منطقة جغرافية واسعة لازالت تعج في أزمات عميقة".

وأشار إلى أن "١٧ ألف طفل سوري لقوا حتفهم في الحرب السورية، بينما أُصيب ٣٧٥ ألف آخرين، و١٩ ألف فقدوا عضوا على الأقل من أعضائهم، وأن ٤٩٠ طفلا فلسطينيا لقوا حتفهم في العدوان الذي استهدفهم في قطاع غزة، وأُصيب ٣ آلاف آخرين."

وأكد "أردوغان" أن هذه المجازر والجرائم تُرتكب على مرآى ومسمع من العالم، مضيفا "الأمهات قُتلن وهن يحملن أطفالهن في أحضانهن أمام العالم أجمع، وأمام كاميرات المصورين الصحفيين، وعرضتها شاشات التلفاز، قُتلن وهن في بيوتهن وفي الأماكن الآمنة اللاتي لجئن إليها، وأطفال آخرون قتلوا وهم يلعبون على الشاطئ"، وأضاف: "ولقد شاهدنا أن هناك من سعوا لإسكات من كانوا يحاولون لفت أنظار العالم إلى تلك المجازر، سعوا في ذلك تحت تسميات مختلفة"، متابعا: "ليس هذا فحسب بل كل من حاول الاعتراض على ما يجري في سوريا من جرائم، وما جرى في مصر من قتل للديمقراطية، تعرضوا لعدد من الاتهامات الباطلة التي لا أساس لها، حيث تم اتهامهم على الفور بدعم الإرهاب ومساندته".

وتطرق الرئيس التركي خلال كلمته إلى القضية الفلسطينية، وقال

بشأنها: "القضية الفلسطينية مستمرة منذ نصف قرن، هذه القضية التي تعتبر سببا في العديد من القضايا بالمنطقة، وأنا أؤكد أن تفعيل حل القضية الفلسطينية القائم على أساس دولتين، ورفع الحصار عن قطاع غزة، وتأسيس دولة فلسطينية مستقلة دائمة إلى جانب إسرائيل، ضرورة أخلاقية وإنسانية وسياسية.

وأوضح أن مصير الدول بات محكوما بشفتي دولة من الدول دائمة العضوية بمجلس الأمن، مضيفا "بات مجلس الأمن الدولي عاجزا عن إيجاد حلول في الوقت الذي شهدنا فيه مقتل نحو ألفي شخص في قطاع غزة في عدة أشهر، ومقتل أكثر من ٢٠٠ ألف في سوريا منذ بداية الأزمة التي مضى عليها ٤ سنوات، فضلا عن نزوح ما يقرب من ٩ ملايين شخص"، وانتقد أردوغان صمت المجتمع الدولي حيال مقتل ٢٠٠ ألف سوري بالأسلحة التقليدية، بينما تحرك بشكل عاجل حينما تم استخدام الأسلحة الكيميائية، مضيفا "أي شيء هذا، وأي عقلية تلك، استخدام أي سلاح يؤدي إلى مقتل إنسان وزهق أرواح، جريمة تقليديا كان أو كيميائيا".

وعندما ترجع مسئولية استمرار هذه المآسي إلى عدم تحرُّك الأمم المتحدة ووكالاتها وخضوعها الكامل للدول الكبرى، ترجع إلى الوسائل الإعلامية أيضاً التي تبرز صوراً وتخفي صوراً وقد ظهر هذا الانطباع في خطابات زعماء الدول الأخرى أيضاً الذين شكوا عدم تدخل الأمم المتحدة في وقاية المعتدى عليهم في العالم من الاعتداء وعدم فعاليتها في الميادين التي أنشئت المنظمة من أجلها.

إن تعطل الأمم المتحدة وتبعيتها للدول الكبرى هو السبب الرئيس لاستمرار الاعتداءات المسلحة في مختلف أنحاء العالم وإذا لم يوضع حد لهذا الوضع فإن هذه الصراعات الإقليمية ستحول العالم إلى حرب عالمية ثالثة تكلف الإنسانية أكثر مما كلفته الحربان السابقتان لتقدم الصناعة العسكرية واختراع أسلحة أكثر تدميراً.

في اليوم العاشر من شهر ديسمبر الذي يحتفل به العالم كل عام كيوم حقوق الإنسان، يقتضي دراسة وضع حقوق الإنسان في مختلف أجزاء العالم، وأن يوجه انتباه إلى هذه المنظمة لكي تدرس بربرية الدول المعتدية، وتتخذ تدابير لمنع ما يقع من خرق لحقوق الإنسان، وضمان سلامة الدول الإقليمية وأمنها وخاصة أمن الأقليات في العالم. ●●

من كنوز القرآن الكريم

تفسير القرآن الكريم

للعلامة السيد سليمان الندوي

تفسير القرآن بالقرآن (بني إسرائيل، الكهف، مريم، طه)

جمع وترتيب : محمد فرمان الندوي

ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير :

قال الله تعالى: وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (الأنفال: ٣٣)

وكان الشيطان لربه كفوراً : أي كفر النعمة .

إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان خبيراً بصيراً: فيعطي كلاً بخبره وبصره

ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق :

قال الله تعالى: قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (الأنعام : ١٥١)

ولا تقربوا الزنا :

قال العلامة الندوي : قرن الزنا بين قتل الأولاد وقتل النفس ، يدل على أن الزنا سبب قتل الأولاد وقتل النفس .

ولا تقربوا مال اليتيم :

قال الله تعالى: وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً (النساء : ٦)

وقال : وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (الأنعام : ١٥٢)

ربكم أعلم بكم ، إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم ، وما أرسلناك عليهم وكيلاً :
قال الله تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ . وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِى ٱلأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (آل عمران : ١٢٨- ١٢٩)

ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، وآتينا داود زبوراً :
قال الله تعالى : تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ..... (البقرة : ٢٥٣)

أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب:
قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (المائدة : ٣٥)

أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك :
قال العلامة الندوي : تدل الآية على أن النبي ادعى الرقي في السماء . وقال الله تعالى: وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (الأنعام : ٧)

إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً:
وردت كلمة خرَّ في هذه السورة مرتين ، قال الله تعالى: قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ ، إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ، وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً (بني إسرائيل : ١٠٧- ١٠٩)

سورة الكهف

موضوعها : الإلمام بالساعة

واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي :
قال الله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَآءَهُ ٱلأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَى ، أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَى فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ، وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى، وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَى، وَهُوَ يَخْشَى فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى (عبس :١- ١٠)
وقال : فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِىِّ وَٱلإِبْكَارِ (غافر : ٥٥)

إنا أعتدنا للظالمين ناراً ، أحاط بهم سرادقها : هلاك المستكبرين .

واضرب لهم مثلا رجلين: تمثيل .

أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة :

قال العلامة الندوي : الكفر بالقيامة كفر بالله ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (حم السجدة : ٥٠)

ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا :

قال العلامة الندوي : الشرك الذي ارتكبه هو نسبة إثمار الجنة إلى نفسه أو الأسباب المستقلة فذاك شرك .

واضرب لهم مثلاً الحياة الدنيا :

قال العلامة : الغرور بالحياة باطل .

ففسق عن أمر ربه :

قال العلامة : استكبار الشيطان سبب ضلالة .

وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح :

ادعى موسى عليه السلام العلم .

أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء :

قال العلامة : النجاة بالأعمال لا بالشفاعة الباطلة .

قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر :

قال الله تعالى : وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (لقمان : ٢٧)

سورة مريم

واذكر في الكتاب إبراهيم :

قال العلامة: (من هنا) ذكر الأنبياء الذين اجتباهم الله ، كما اجتبى موسى ، ولم يدعوا الألوهية .

قال سلام عليك :

قال العلامة : السلام عند الوداع . قال الله تعالى : وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (التوبة : ١١٤)

ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً : أي المجرمون .

وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتماً مقضياً :
إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كَانَ هَـٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (الأنبياء : ٩٨- ٩٩)
ثم ننجي الذين اتقوا : أي الذين كان لهم شيئ من التقوى .

سورة طه

إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني :
قال العلامة: لا معرفة للإنسان من حقائق إلا من وجوده .
واحلل عقدة من لساني :
قال الله تعالى : أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين [redacted] ، [redacted] ، ولم يكن من القبط .
قالوا إن هذان لساحران :
قال الله تعالى : يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ، قَالُوا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ (الشعراء : ٣٥- ٣٦)
والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض :
قال الله تعالى : قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ، وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (الأعراف : ١٢٥- ١٢٦)
إنا آمنا بربنا ليغفرلنا خطايانا : الإسلام يهدم ما كان قبله .
إني خشيت أن تقول : فرقت بين بني إسرائيل :
طريق الفصل السماع من الفريقين .
قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو :
قال الله تعالى: قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ، فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [redacted] ، [redacted] وقال : ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ، وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ . أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ، فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ (الأنعام : ٨٨- ٨٩)
أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى :
قال العلامة : فقد ذكر في الصحف الأولى أن بعد إنكار الآيات يعذب المنكرون .

إصدارات حديثة :

الهداية القرآنية : سفينة نجاة للإنسانية

للعلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

تعريف بقلم : سعيد الأعظمي الندوي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله تعالى وكلامه الخالد المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

وإن الإيمان بهذه الحقيقة ، والاعتراف بواقع الخلود ، والإعجاز في هذا الكلام الذي يلازمه بصفة دائمة يملأ العالم البشري بأجمعه خضوعاً أمام قدرة الله تعالى الواسعة اللانهاية ، والاعتراف الكامل بربوبيته وخلاقيته وأمره ونهيه ، وسلطته العظيمة على الخلق والكون والحياة ، بوجه دائم مستمر ، لا تتخلله فترة من الاستجمام أو للاستراحة في أي حين لحظة .

أودع الله سبحانه في القرآن الكريم جميع الحقائق والأسرار التي خلق عليها كل ما في الكون من حياة أو آثار أو نظام بديع أو شريعة مستمرة ، وهو يساير طبيعة الجن والإنس والحيوان والجماد والنبات والبر والبحر ، والجو والفضاء وما إلى ذلك ، فكان دستوراً خالداً دائماً متتابعاً للكائنات كلها ، مما نعلمه أو لا يزال مستوراً عن أعيننا ، ومختفياً في سر الخلق والأمر ، ولما يدخل هذا السر الآن تحت تصرف قليل أو اكتشافات حقيرة لأسرار الكون .

والأمور الخارقة للعادة في هذا العالم معجزات ذات دليل واسع على قدرة الله تعالى الواسعة العملاقة ، وهي موجودة على جميع المستويات العلمية والصناعية والبيانية والعقلية والتاريخية والقصصية التكرارية ، لذلك لا نستطيع أن ندعي أن معاني القرآن وأسراره وحقائقه قد تبينت للناس وتوصل الناس إلى أعماقها وأغوارها كلها ، بل الواقع أن كثيراً من العلماء والمفسرين استعصى عليهم الوصول إلى أعماق المعاني التي أرادها الله

سبحانه وتعالى ، فمنهم من أوتي من العلم والمعرفة والبصيرة النادرة ، فتمكن من التوصل إلى بعض مفاهيم القرآن الكريم في آيات كثيرة منه .

وقد روى البخاري عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما : إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي ، (وهو نافع بن الأزرق الذي أصبح فيما بعد رأس الخوارج) ذكره القرطبي رحمه الله ، قال: ما هو ؟ قال : قول الله تعالى : ﴿فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ وقوله : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ وقوله : ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ ، وما أشبه ذلك من آيات أخرى ، فرد على جميع ذلك ابن عباس رضي الله عنهما بكلام بيِّن واضح ، دون أن يبقى هناك اختلاف أو شبه .

الواقع أن أمثال هؤلاء المتسائلين لا يتوخون إلا التشكيك في كتاب الله تعالى وإضلال الجماهير ، كما قام بذلك الطاعنون في كتاب الله تعالى من أتباع فلاسفة الفرس ، وقد عرفهم التاريخ بالقرامطة الذين يبيحون المحرمات .

وعلى كل حال ، فإن بيان شرف القرآن الكريم ومكانته العالية العظيمة ، أمر لا يحصره بيان ولا يستوعبه عالم ولا كاتب ، يقول الله تعالى ، بياناً عن بعض صفاته : ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٥) .

وكل ما ألفه العلماء المفسرون والمتعمقون في معاني كتاب الله تعالى إنما هو صورة أو مثال لا يبلغ إلى ما أريد به من الله سبحانه وتعالى .

وقد صرح الإمام القرطبي ، فقال في مقدمة تفسيره الجليل :

"إعلم أن هذا الباب واسع كبير ، ألف فيه العلماء كتباً كثيرة" .

وأشار إلى بعض ما كتب عن القرآن وتفسيره ومعانيه ، وقد سجل تاريخ الإسلام القرآني مجموعة كبيرة مما كتب في هذا المعنى ، وقد تفوق مكتبة واسعة مما له صلة بكتاب الله تعالى ، تفسيراً وبياناً ، وترجمةً ، سواء بكل القرآن الكريم أو ببعضه أو جزء منه أو سورة أو آية ، وفي جميع لغات العالم المعلومة والمستورة .

ولذلك ظهر في كل عصر وزمان علماء العربية بدراسة القرآن الكريم والتعمق إلى معانيه وأسراره ودقائقه ، وتلقاه الناس بغاية من

الاحترام والإيجاب والتقدير ، واستفادوا مما جاء فيه من إشارات وبيانات لنزول السور والآيات ، وشرح مفاهيم التشريع والتطبيق العملي الذي احتوى عليه كلامهم .

وقد كان في الزمن الأخير مؤلفات كثيرة عن فضل كتاب الله تعالى وعظمة بيان شرفه وتطابق معناه مع طبيعة الإنسان والكون ، فكان لسماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي كتاب حول انطباعاته عن كتاب الله تعالى في ضوء أقوال وآراء علماء التفسير ، وما فيه من دعوة تبليغية إلى دين الإسلام والإيمان بالله ورسوله ﷺ وما فيه من أفكار وآراء علمية وبيانية ، تعين على تفهم خلود الدين وشموليته ، وتثير في النفس عواطف الحب والاستسلام لله تعالى ولرسوله ﷺ وللقرآن الكريم وشريعته الباقية النامية الخالدة .

كان هذا الكتاب قد ألف باللغة الأردوية نظراً إلى إفادة الجماهير من الناس ممن لغة تفاهمهم الأردوية ، ولكنه كان بحاجة إلى أن يترجم إلى لغات أخرى مثل الهندية والإنجليزية .

وأخيراً قام أخونا العزيز الأستاذ محمد فرمان الندوي أستاذ الأدب العربي بدار العلوم بترجمة الكتاب إلى العربية في حلقات متتابعة نشرت في مجلة البعث الإسلامي الشهيرة الصادرة من ندوة العلماء منذ نحو ستين عاماً ، وقد اطلع على هذه الترجمة العربية سماحة المؤلف الكريم وتناولها بالتهذيب والتصحيح ، ثم أحيلت إلى المجمع الإسلامي العلمي بلكناؤ ، الذي يقوم بإصدارها في كتاب مستقل باسم (الهداية القرآنية : سفينة نجاة للإنسانية) ، وذلك للإفادة العامة في أسواق العلوم والمعارف في كل مكان .

ندعو الله سبحانه أن يتقبل هذا العمل العلمي قبولاً حسناً ، ويجعله مصدراً للانتفاع والاستفادة العلمية والدينية إلى يوم الدين .

وصلى الله تعالى على خير خلقه ، محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

"محاضرات في فن التدريس"

للأستاذ الدكتور /سعيد الأعظمي الندوي

تعريف بقلم الأستاذ محمد أشرف علي الندوي

إن هذا الكتاب "محاضرات في فن التدريس" قد ألفه فضيلة أستاذنا الجليل الدكتور /سعيد الأعظمي الندوي ـ حفظه الله ورعاه ـ مدير جامعة دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ ورئيس التحرير لمجلة "البعث الإسلامي" الشهرية الصادرة من هذه الدار، فالمؤلف ضمّن فيه الإبداع والابتكار الذي استخرجه من تجاربه الذاتية وخبراته الشخصية من خلال التدريس بعد طيلة ممارسته في هذا المجال، فنقّحه وحرّره معتمداً في ذلك على ما توصّل إليه من دراسته العميقة ومطالعته الدقيقة، وهذه المذكرة تشتمل على سبع عشرة محاضرة في فن التدريس وما يتعلق به من شرح الأسس وبيان المتطلبات في هذا الباب ، فالمحاضرة الأولى تتحدث عن أهمية التدريس وإلقاء الدروس وتمثيله في بناء الحياة الإسلامية الصحيحة ومسئولية المعلم من كل ناحية من نواحي الحياة الإنسانية والمجتمع المعاصر، فالمؤلف يقول ناقلاً من قول الإمام الغزالي في كتابه المعروف بـ "إحياء علوم الدين"، وهو كالتالي:

"أن يكون المعلم عاملاً بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر .....!"[1]

وتعرض المؤلف في المحاضرة الثانية لمعنى التدريس وطرقه المؤثرة الناجحة مشيراً إلى مراعاته للطلاب عقلاً و فهما ومستوى علمياً وتطبيق ما يحصل من الدراسة في جميع جوانب حياة الدارسين مع إدراج آداب الأساتذة والمعلمين بشيئ من التفصيل، كما تناول فضيلة الدكتور في المحاضرة الثالثة شدة حاجة المعلم إلى فهم علاقة التدريس بعلم النفس ودوره في ترسيخ الدروس

١ راجع: الكتاب نفسه برقم الصفحة (٤٤)

في أذهان الدارسين وإثبات المحاضرات في مسارب نفوسهم وتوفير المعلومات المهمة عن نفسيتهم وترويح قلوبهم، وذلك مع التركيز على نشاط الدعوة واتخاذ أسلوب الحكمة والموعظة وملاحظة اللين والرفق بالطلاب، ووصل صاحب الفضيلة المؤلف إلى تحقيق "التدريس فن من الفنون" في معنى الكلمة، ثم يقول:

"..... فكلما كان المدرس أمهر في المواقف التعليمية، وأعلم بأساليب الفن، وأقرب إلى نفسية الطالب، كان المدرس ناجحاً ومعلماً ذا شأن"[1].

أما المحاضرة الرابعة فهي تدور حول "أسس التدريس وطرقه" وتناولها بالبحث، فذكر المؤلف فيها بعض الأمور التي يجب على المعلم أن يتجنبها حتى يكون له دور بالغ في عملية التدريس ونجاحه في عمله هذا، وحاول أن يرغّب المؤلف المدرسين في تنفيذ بعض الطرق المنشطة للطلاب من خلال أداء واجباتهم التدريسية والتربوية، ثم ذكر في ذلك قول العلامة ابن خلدون في مقدمته وكلام الفيلسوف الإنجليزي هربرت اسبنسر في كتابه "التعليم"، كما بيّن في المحاضرة الخامسة البحث عن المميّزات التي لا بد للمعلم أن يتحلّى بها، وأدرج فيها بعض المصادر التي ترفع مكانة هذا المبحث إلا أنه ذكر فيها للمدرسين عشر نصائح مهمة.

أما المحاضرة السادسة فهي تدور حول "علاقة التدريس بالتربية" ووضّح فيها فضيلته معنى التربية وما لها من العناصر والمقتضيات، وتحدث عن بيئة الأسرة والمجتمع التي يتعلم فيها الأطفال المتعلمون ثم يتأثرون بها، ثم ذكر فيها نظرات تربوية وأفكاراً تعليمية قديمة وحديثة، وأرشد إلى اتخاذ أحدث الآلات وأوفر الإمكانيات للدراسة والتدريس مقدماً آراء الإخصائيين المهرة في هذا الفن وأنفع مؤلفاتهم وأحدث اتجاهاتهم التربوية.

والمحاضرة السابعة تحتوي على المبادئ الحديثة في التربية الحديثة وتتناولها بالبحث الدقيق والنظر الثاقب وبالأسلوب الجذّاب، إن صاحب الكتاب قد تناول فيها الفرق بين المقررات الدراسية الشائعة في المدارس القديمة وطرق التدريس الحديثة على مرّ الزمن، وقارن بين أصحابهما، وعرض ما كان عنده من الفكرة والرأي بالبراهين الواضحة، ثم تحدث في

[1] انظر: صفحة :٥٣ من الكتاب نفسه.

المحاضرة التي تليها باسم "منهجية التدريس" عن خطورة وأهمية هذا الموضوع وعناصره الأساسية وتعديل منهجية التدريس حسب الظروف والمصالح، واهتم بذكر الأساليب الصالحة التي تعالج عملية التدريس في توفير المعارف العلمية والثقافية لدى الدارسين و إثارة الرغبة في البحث والاستزادة من العلم، واستدلّ على كلامه بتقديم أسس خبراء التعليم والتربية وإرشاداتهم وتوجيهاتهم.

وفي النهاية أقول : إن فضيلة المؤلف يسلّط الضوء في بقية المحاضرات ـ من التاسعة إلى السابعة عشرة ـ على مباحث عدة، منها: توجيهات في طريقة التدريس، جلب اهتمام الطلاب وانتباههم، طريقة إعداد الدروس، أهمية اللغة العربية وميزاتها ومشكلات تعليمها في الهند، والتعبير وأدواته ثم البلاغة وطريقة تدريسها.

وهكذا نرى أن المؤلف فضيلة الدكتور قد شرح الكلام في هذه المباحث من نواح شتى، واستدرك عليها استدراكاً وافياً في هذا الباب بأسلوب علمي نزيه، وتطرّق إلى استيعابها الشامل واستقصائها الكامل مع تحرٍّ للصواب وبحث عن الحقيقة العلمية وتقرير للحق وأمانة في البيان، ويشير هذا الكتاب إلى أن لصاحبه قدرة فائقة على مثل هذا الموضوع مع توسّعه فيه، لا يقدّر مدى ما قاسى من العناء في هذا المجال إلا من اشتغل بالتدريس من أهل العلم، ولا ريب أن هذه المذكرة التدريسية مفيدة ممتعة، وكل من يطالعها لا يتوقف عن الاعتراف بأن المؤلف قد أوفى حقه من البحث والتحقيق ومقوّمات فن التدريس بنقول نادرة واكتشافات بديعة ومعارف صحيحة دقيقة بدقة وأمانة، وكان ذلك شعاره فيها، وكانت الحاجة ماسّة إلى هذا الإنجاز.

وأكتفي بهذا القدر قائلاً":

إن هذه المجموعة التي تحتوي على مائتين وإحدى عشرة صفحة ومستفادة من ستة وعشرين مصدراً، وهي موفّقة في هدفها وناجحة في تقديم طرق التدريس والإفادة ومتميزة بأسلوبها وبيانها، ومستوفية لكثير مما يتعلق بهذا الموضوع، ونافعة للمستفيدين ومليئة بالحكم والمواعظ الحسنة ومتحلّية بروعة الأدب والبلاغة ومخططة الطرق في مجال التدريس والتربية ومشتملة على

كثير من المباحث العلمية الدقيقة والفوائد العظيمة الطريفة التي خلت عنها كثير من المؤلفات والمذكرات التي ألفت في هذا الموضوع خاصة في غير البلاد العربية، لا يعرف قيمتها إلا من اشتغل فترة طويلة بوظيفة التدريس من المقررات الدراسية وغيرها ووقف على مواضع الخفاء والغموض، وإن هذه المجموعة التدريسية كمذكّرة ملخّصة بأكمل صورة، وهي ذات قيمة عظيمة وأهمية كبيرة لما كان المؤلف قد ركزّ عنايته الخاصة وبذل جهوده المستمرة، فزاد قيمتها العلمية والتربوية والروحية، هداه إليها ذوقه السليم ونظره العميق وطول اشتغاله بصناعة اللغة العربية في مجال تخصّصه في "التدريس" وقد تكون عمليته هذه أقرب إلى الصواب وأكثر كشفاً للمعاني من كثير مما تناقله الباحثون والدارسون في هذا العصر، وقد جاءت محاضرات فضيلة الأستاذ الدكتور الأعظمي الندوي شاملة لعدة جوانب مهمة .

ولذلك يجب على من يرغب في معرفة شخصية الكاتب أن يلفت نظره إلى دراسة هذا المؤلّف القيم ومطالعته حتى تظهر له منزلة المؤلّف العلمية والأدبية في فنون شتى، ولا ريب أن هذا الكتاب يفتح عيون المدرسين لكشف العوامل المؤثرة في تكوين استعداد الطلاب والدارسين، وإنه أحسن كتاب لكل من يتمنى أن يكون أستاذاً ناجحاً في مجال التدريس وإلقاء المحاضرات والدروس، لأنه يفتقر إلى ماجاء فيه، ويحتاج إلى معرفة كل ما يحل العقدة ويروي الغلة بكلام فصل لا فضولَ فيه ولا تقصير، ويكشف الثقة بالنفس ويفصّل الإجمال ويوضّح الإبهام، وفيه بعض النكت التي تدل على صفاء النفس وإشراق القلب والقول السديد في ترجيح بعض الوجوه على بعض، وتعين معنى من المعاني بالذوق والممارسة.

وستنال هذه المذكرة قبولاً عاماً في الأوساط العلمية بمشيئة الله تعالى، وجزى الله صاحبها عني وعن جميع الدارسين والمدرسين أحسن الجزاء، وأسأل الله عزوجل أن يتقبل منه ما بذل وما يبذل من جهود علمية ويقوم بأعمال جليلة . (والله ولي التوفيق)

وصلى الله تعالى على خير خلقه وعلى آله وصحبه أجمعين.

ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٣٥هـ
تعظيم شعائر الحج

سعيد الأعظمي الندوي

من دأب وزارة الحج للمملكة العربية السعودية أن تعقد كل عام ندوة الحج الكبرى ، يدعى إليها للمشاركة في برامجها كبار علماء ومفكري ومثقفي وأدباء العالم الإسلامي خلال مواسم الحج ، وذلك تأكيداً للدور الشامل الذي يتضمنه مفهوم الحج بوصفه تجمعاً دينياً وعلمياً يتم عبره التعارف والتواصل الديني والعرفي بين مسلمي العالم شرقاً وغرباً .

قامت وزارة الحج بعقد ندوة الحج الكبرى لهذا العام ١٤٣٥هـ ابتداءً من يوم السبت الثالث من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٥هـ ، دعي للمشاركة فيها عدد كبير من أصحاب العلم والفكر والثقافة والمعرفة من العالم الإسلامي وبلدان الأقليات المسلمة ، وذلك تحقيقاً لأهداف عديدة منها :

١. إبراز الدور الثقافي والحضاري الذي تضطلع به المملكة العزيزة لخدمة الحج والحجيج .
٢. التأكيد على الدور الثقافي والحضاري للمدينة المقدسة وأبنائها عبر العصور المختلفة .
٣. إبراز أهم الإنجازات والمشروعات الرائدة والتطورات المتلاحقة في الحرمين الشريفين لخدمة المسلمين في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله تعالى .
٤. التعريف بإنجازات وزارة الحج لخدمة الحج والحجاج ، وذلك إسهاماً منها في تنفيذ سياسة الحكومة الهادفة لتقديم أفضل الخدمات للحجيج

والمعتمرين والزوار .

كنا قد تلقينا دعوة الحج لهذا العام من وزارة الحج للمشاركة في هذه الندوة المباركة في أواخر أيام شهر ذي القعدة لهذا العام ، وكانت سفارة المملكة العزيزة في دلهي قد أعدت لنا جميع وسائل السفر مع مرافق لي (محمد عبد الله مخدومي) واستقبلنا في مطار جدة بعد الوصول إليه مندوب الوزارة وبلغ بنا إلى فندق زمزم في منطقة كدي ، وكانت ليلة الجمعة فصلينا الجمعة في الحرم المكي الشريف وقمنا بأداء العمرة بعد ذلك ، وعدنا إلى الفندق مساءً حيث لقينا سعادة الدكتور الأستاذ هشام بن عبد الله العباس أمين عام ندوة الحج الكبرى لهذا العام ، وعلمنا عن طريقه أن برامج ندوة الحج الكبرى ستبتدئ من صباح يوم الأحد ٤/ من شهر ذي الحجة ١٤٣٥ هـ حول موضوع (تعظيم شعائر الحج) ، وكان يوم السبت خاصاً بزيارة مصنع الكسوة للكعبة المشرفة ، وزيارة معرض عمارة الحرمين الشريفين .

بدأت الحفلة الافتتاحية للندوة تحت رئاسة معالي الدكتور بندر بن محمد حمزة الحجار في قاعة الذكرى الخالدة للاحتفالات بمكة المكرمة، ومع بدء فعاليات الندوة ألقى معالي وزير الحج كلمة رحب فيها بضيوف ندوة الحج الكبرى ، جاء فيما قال :

" يسرني باسم حكومة المملكة العربية السعودية – ملكاً وحكومة وشعباً –أن أرحب بكم للحضور لأداء نسك الحج وللمشاركة في ندوة الحج الكبرى ، راجياً لكم حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وعوداً حميداً ، كما أتطلع ، وأنتم في هذه الديار المقدسة إلى الاستفادة من علمكم وفكركم من خلال محاور الندوة ولقاءاتها المختلفة ومشاركتكم القيمة التي ستثري محاور التناول ، تحقيقاً للمنافع المشهودة التي يعيشها الجميع في ظل جو يسوده الاخاء والوئام والسكينة في هذا البلد الأمين " .

واستمرت الندوة إلى ثلاثة أيام ألقيت خلال ذلك مقالات ومواضيع

حول شعائر الحج ، كما أن ندوة اليوم الثاني بدأت برئاسة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي المملكة الكبير ، وكانت كلمته تشمل جميع معاني تعظيم شعائر الله تعالى وقد تحدث عن ذلك بكلمته البليغة التي ألقاها مع اختتام برامج الجلسة في اليوم الثاني .

وقد أعدت وزارة الحج إقامة حفل تكريم للعاملين في المواسم والقائمين بخدمة الحجاج ، لتقديم جوائز تقديرية لهم ، يوم الأربعاء ١٤/ من ذي الحجة ١٤٣٥هـ في فندق هلتون بجدة برئاسة معالي وزير الحج الدكتور بندر بن محمد حمزة حجار الذي قام بتكريم البارزين في مجال خدمة الحجيج من جميع النواحي وتوزيع جوائز غالية بينهم ، فكانت مناسبة مثيرة غالية .

ونحن إذ نشكر حكومة المملكة العربية السعودية ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق حضرات المسئولين عن الحكومة السعودية وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله تعالى إلى مزيد من توفير تسهيلات لتعظيم شعائر الحج وتوسعة الحرمين الشريفين وجعلهما مركزاً مثالياً للأمن والسلام في العالم كله ، والله سبحانه يقول : (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً) .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

إلى رحمة الله تعالى

١- الشيخ نياز أحمد الندوي في ذمة الله تعالى

كانت وفاة فضيلة الأخ العزيز الشيخ نياز أحمد في يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر ذي القعدة عام ١٤٣٥هـ ، المصادف ٢٢ / من شهر سبتمبر ٢٠١٤ م ، مفاجأة مثيرة للأحزان ، وذلك بعد ما جرى علاج كليته في "مستوصف رخسانه" في مدينة لكناؤ إلى مدة أسبوعين ، وكان يرجى أن يعود مشافى معافى من المستوصف ، إلا أن ذلك لم يتحقق، واستأثرت به رحمة الله تعالى خلال المعالجة عبر أطباء بارعين ، وكان قدر الله مقدوراً ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ نياز أحمد من أبناء ندوة العلماء المتخرجين في أوائل السبعينيات ، والحائزين على شهادة الفضيلة في الشريعة الإسلامية ، ثم توظف في مكتبة شبلي العامة لندوة العلماء ، وظلّ يؤدي وظيفته في هذه المكتبة ، وكان له اتصال بسماحة العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن على الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء يومذاك ، وكان قد أراد أن ينتقل من المكتبة إلى بعض فروع دارالعلوم في المناطق القريبة بوظيفة التدريس ، فوافق على ذلك سماحة العلامة رحمه الله وكبار أساتذته من أسرة السادة الحسنية ، وانضم إلى أعضاء مدرسة ضياء العلوم بالقرية المجاورة لدارة الشيخ علم الله الحسني ، التي كانت مركزاً لهذه الأسرة الكريمة ومقاماً لسماحة العلامة الندوي (رحمه الله تعالى) فكان الشيخ نياز يقضي جميع أوقاته في الاستفادة من المدرسة والمركز حتى نال ثقة الإمام الندوي وعطفه، وأصبح كأنه أحد أفراد دارة الشيخ علم الله الحسني رحمه الله تعالى ، وقد استطاع بجهده وموافقة سماحة العلامة الندوي وأعضاء الأسرة الكبار أن ينشئ مدرسة لتعليم البنات المسلمات في بلدة راي بريلي ، ووفقه الله تعالى لأن يعيش طائعاً في ضوء توجيهات سماحته وأساتذته ، فكان محبباً وأثيراً لديهم وموثوقا به في الأمور كلها ، وكانت علاقته مع محبي العلامة في البلد و تلاميذه مخلصة طيبة إذ كان الناس يحبونه ويثقون به ويستشيرونه في المعاملات والشئون الدينية .

خلف وراءه أسرة حافلة بالأهل والأولاد وقد اعتنى بتعليمهم الديني والتربية الخلقية الإسلامية ، كما كان محببا بين تلاميذ وأساتذة المدرسة، وقد عقدوا حفلة تعزية على وفاته في مدرسة ضياء العلوم ، ودعوا له بالرحمة والمغفرة .

تغمده الله تعالى بواسع رحمة وغفرله زلاته ، وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله ومحبيه والجميع الصبر الجميل ، والله ولي المتقين .

٢-الحاج محمد جميل الصديقي إلى رحمة الله تعالى

كان الحاج محمد جميل الصديقي من سكان رام ناغر بمديرية بارا بنكي بجوار مدينة لكهنؤ ، هو والد الأخ الأستاذ محمد وسيم الندوي الصديقي أحد أساتذة دارالعلوم لندوة العلماء ، ومن الرجال المهتمين بالشئون التعليمية والاجتماعية ، وكان له صيت جميل في هذه الناحية ، وقد اعتنى بتربية أولاده وتعليمهم الديني اعتناءً بالغاً وبعثهم للتعليم الاسلامي العالي إلى دارالعلوم ندوةالعلماء في لكهنؤ حيث تخرجوا من المراحل الدراسية العالية وقد وقع اختيار المسؤلين عن جامعة ندوة العلماء على ابنه الكبير السيد محمد وسيم الصديقي ضمن الطلبة المبعوثين من جامعة ندوة العلماء إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حيث أقام لمزيد من التعليم الديني والاستزادة العلمية والدينية أكثر من أربع سنوات وتخرج فيها من كلية الحديث ورجع إلى دارالعلوم حيث يمارس تدريس العلوم الاسلامية اليوم، كما أن شقيقه الصغير الأستاذ عبدالوكيل الندوي متخرج من دارالعلوم لندوة العلماء ، وموظف في إحدى إدارات الأمانة العامة لندوة العلماء .

كان الراحل الكريم الحاج محمد جميل من الرجال الصالحين فكانت له إسهامات في شئون التعليم والتربية ، ونشر الدعوة الإسلامية وقد نال سعادة التربية الدينية من خلال توجيهات سماحة العلامة الإمام الندوي رحمه الله ، ورغم ضعف صحته في الأيام الأخيرة لم يعتذر عن الإشراف على شئون مدرسة فيض العلوم في قريته " رام ناغر "، وظل مشغولا بالخدمة الاجتماعية والإصلاحية ، إلى آخر أيام حياته .

ونحن إذ نعزي أهله وأبناءه ومحبيه ندعو الله سبحانه وتعالى أن يناله برحمته الواسعة ، وغفرله زلاته وأسكنه جنات النعيم . وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم .

٣- الدكتور البروفيسور عبدالمعز في ذمة الله تعالى

فوجئنا بنبأ وفاة الدكتور البروفيسور عبدالمعز ، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة مولانا آزاد ، توفي في مكة المكرمة أثناء رمي الجمرات في منى ، وذلك في الخامس من شهر أكتوبر ٢٠١٤ م المصادف ١٠/ من شهر ذى الحجة ١٤٣٥هـ يوم السبت ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

نال الدكتور عبدالمعز هذه السعادة بل الشهادة في منى أثناء رمي

الجمار ، فهنيئاً له ولجميع تلاميذه ومحبيه هذه المكانة التي أكرم بها بعد أداء الحج والوقوف بعرفات .

كان أستاذاً متميزاً بفصاحة اللغة العربية وكان يتمتع بالأسلوب العربي الخالص المتطور في حواره ، وكتاباته ، وكان له ذوق خاص في الترجمة من العربية إلى الانكليزية وبالعكس ، كما كان آية في الاستشهاد بالشعر العربي وآيات الكتاب ونصوص السنة الشريفة ، وكان حافظاً للحكم والأمثال العربية والشعر العربي .

كما كان يتمتع بالخلق الحسن والوجه المبتسم ، ورجاحة العقل ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له زلاته ، وأكرم نزله في جنات ونعيم ، وألهم أهله وذويه ومحبيه وتلاميذه الصبر الجميل .

٤- حرم فضيلة الشيخ محمد عاشق إلهي البرني إلى رحمة الله تعالى

ارتحلت إلى رحمة الله تعالى زوجة فضيلة الشيخ محمد عاشق إلهي، العالم الهندي الجليل الذي كان مقيماً بالمدينة المنورة منذ مدة طويلة ، رحمه الله تعالى ، وقد أصيبت حرمه بأمراض الشيخوخة ، فتوفيت عن عمر يناهز ٨٧ عاماً في ١٥/ من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٥هـ الموافق ١٠/ من شهر اكتوبر ٢٠١٤م ، وقد عاشت مع زوجها نحو أربعين عاماً في المدينة المنورة حيث تم دفنها في البقيع .

فضيلة الشيخ محمد عاشق إلهي البرني رحمه الله تعالى كان زوج الراحلة الكريمة ، وهو من كبار علماء الإفتاء السابقين في دارالعلوم ديوبند ، ولما انتقل إلى باكستان أصبح كبير المفتين في دارالعلوم كراتشي.

ثم هاجر إلى المدينة المنورة حيث كان مرجع الناس في الاستفتاء ودراسة الحديث الشريف ، وهو من أساتذة فضيلة الشيخ محمد رفيع والشيخ محمد تقي العثماني في باكستان .

أما الراحلة الكريمة فكانت والدة الشيخ عبد الرحمن كوثر ، والشيخ عبد الله البرني ، والشيخ محمد المدني الذين يعتبرون اليوم من علماء المدينة المنورة .

ونحن إذ نعزيهم وجميع أعضاء الأسرة الكرام ندعو الله سبحانه وتعالى أن يكرم والدتهم الكريمة العزيزة بالرحمة والمغفرة ، والجنة والنعيم ، والله ولي المتقين .